جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
كلية العلوم الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

الوسطية المرفوضة في القرآن الكريم
ـدراسة موضوعيةـ

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية ـ تخصص: اللغة العربية والدراسات القرآنية

الطالبة:
مايسة دباخ

المشرف:
د. العيد حذيق

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. سعد مسعودي	أستاذ متعاقد	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
د. العيد حذيق	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
أ. محمد الصالح غريسي	أستاذ مساعد أ	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 1443–1444هـ/2022–2023م

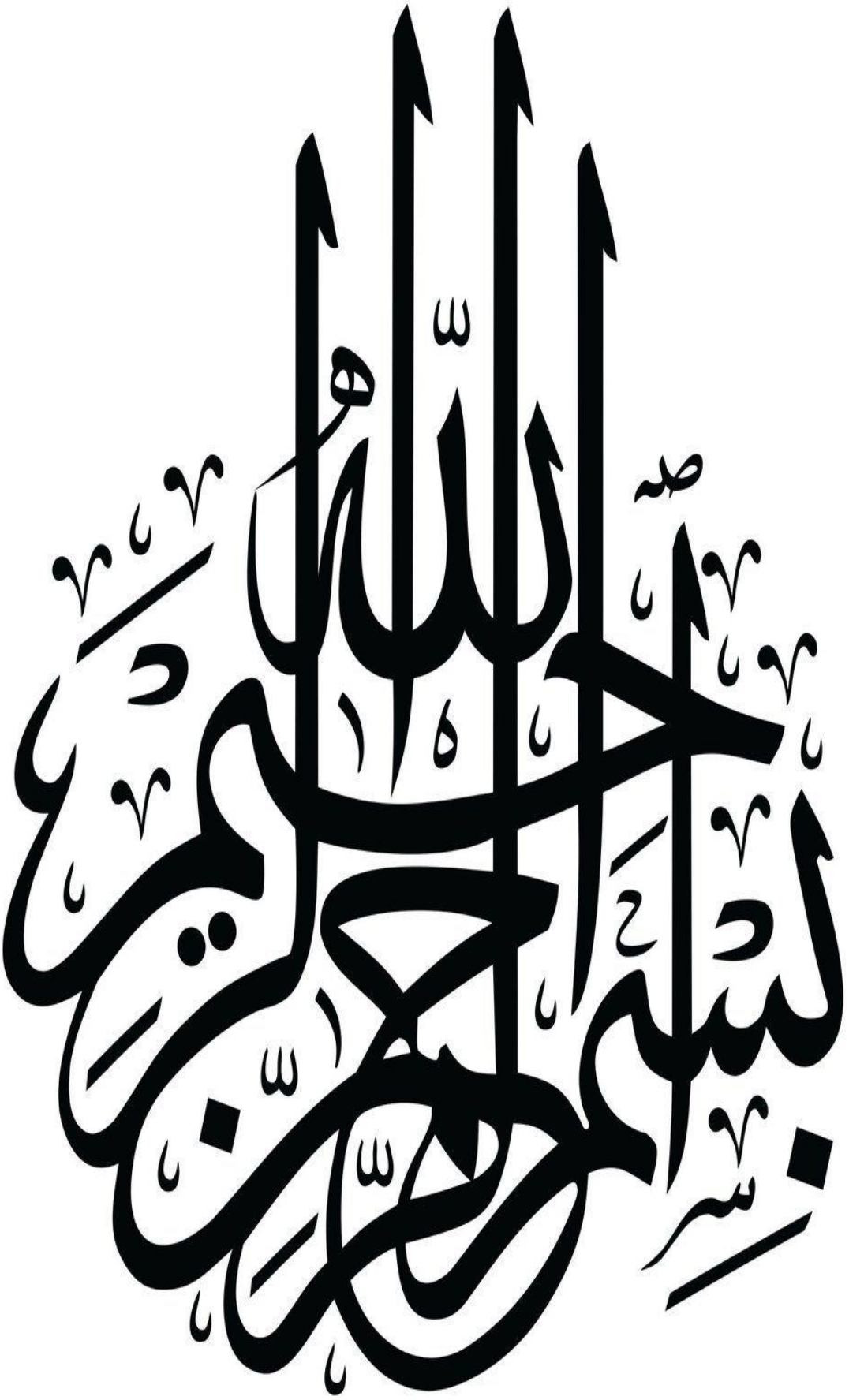
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّر
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَـــٰتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيـــرًا﴾

[الإسراء : 9]

إهداء

إلى وصية الرحمن؛ والدي ووالدتي الحبيبين، حفظكما الله ورعاكما.

إلى المؤنسات الغاليات، أخواتي وفقكن الله لما يحبه ويرضاه.

إلى جدتي الحبيبة وإلى خالي الغالي، وإلى كل من وجدته بقربي؛ عائلتي، أهلي، أصدقائي، بارك الله فيكم.

إلى كل من فارقنا جسداً ولا زال حاضراً فيناً روحاً طيبةً.

و إلى كل أساتذتي منذ بدأ المشوار الدراسي، وإلى كل معلمٍ وطالبِ علمٍ، أنار الله بصيرتكم وسدد خطاكم.

أهدي لكم جميعاً هذا العمل، وأسأل الله أن يتقبله عملاً صالحاً.

مايسة

شكر وعرفان

﴿قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ ﴾ [الأحقاف: 15]

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والشكر لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل.

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي والمشرف على المذكرة الدكتور "العيد حذيق"، لتوجيهاته ونصائحه القيمة طيلة فترة إعداد البحث.

كما أتوجه بالشكر لخالي "دباخ سعد"، على مساعدته لي بجهده ووقته.

وأتقدم بجزيل الشكر لكل أساتذتي في مرحلتي الليسونس والماستر على ما قدموه لنا من علوم ومعارف وخبراتٍ على الصعيدين العلمي والعملي.

وإلى كلية العلوم الإسلامية بجامعة حمه لخضر-الوادي- عامة، وقسم الحضارة الإسلامية خاصة.

وإلى كل من أفادني وساعدني بمعلومة أو بدعاء أو بتغاضي عن زلةٍ مني طيلة هاته المرحلة، جزاكم الله خيراً.

الملخص:

موضوع دراستنا هو: الوسطية المرفوضة في القرآن الكريم –دراسة موضوعية–، والإشكالية التي تطرحها هذه الدراسة كالآتي: ما المقصود بالوسطية المرفوضة؟ وما الآيات القرآنية التي صورت موضوع الوسطية في القرآن؟ وما دلالاتها؟

وقد درسنا هذا الإشكال بوضع خطة مجملها على النحو التالي: مبحث تمهيدي يطرح موضوع الوسطية بشكل عام.

ومبحثين؛ الأول نظري؛ عرفنا فيه المصطلحات البارزة لعنوان دراستنا، والثاني تطبيقي؛ عددنا آيات الوسطية المرفوضة في القرآن الكريم، وهي في سورتين البقرة والنساء، جعلنا لكل سورة مطلب، واستفتحنا كل مطلب ببين يدي السورة ثم التفسير التحليلي والموضوعي للآية القرآنية. واختتمنا الدراسة بجملة من النتائج.

ولعل أهم هذه النتائج المتوصل إليها ما يلي:

- الوسطية المرفوضة هي توسط بين الحق والباطل، وهي صفة اليهود والمنافقين.
- تدور آيات الوسطية المرفوضة كلها في جانب العقيدة، وهي في سورتين؛ البقرة والنساء.

Summary:

The subject of our study is “Rejected ,Moderation in the Holy Quran: An Objective Study,” and the problematic issues it raises are as follows: What is meant by “ rejected moderation”? Which Quranic verses depict the theme of rejected moderation, and what are their implications?

We have addressed this issue by outlining a comprehensive plan as follows: an introductory section that presents the concept of moderation in general. Then, two main sections: the first one is theoretical, where we define the prominent terms related to our study’s tobic. The second section is applied, where we enumerate the verses of rejected moderation in the Holy Quran. These verses are found in two surahs: Al-Baqarah and An-Nisa. For each surah, we have established objectives, provided an introduction before the surah, followed by analytical and objective interpretation of the Quranic text. We concluded the study with a summary of the findings.

Among the most important findings are the followings:

-Rejected moderation is a middle ground between truth and falsehood, and it is a characteristic attributed to the Jews and hypocrites.

-The verses of rejected moderation primarily revolve around matters of belief, and they are found in two surahs: Al-Baqarah and An-Nisa.

مصطلحات ورموز البحث:

استخدمنا في بحثنا عدة رموز للاختصار، وإليك معانيها في الجدول الموضح أدناه:

الرموز	ما تعنيه
ت	تاريخ الوفاة
ط	الطبعة
د ط	دون طبعة
د م ن	دون مكان نشر
د ت ن	دون تاريخ نشر
ج	الجزء
ص	الصفحة

المقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستغفره ونستهديه ونستعين به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً ولا نصيراً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا وشفيعنا مُحَمَّد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

القرآن الكريم أعظم كتاب أنزل على البشرية جمعاء، من رب رحيم عزيز، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: 82]. وهذا لعلو شأنه ومقامه ومقام قارئه، قال ﷺ:« يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وارْقَ ورتِّل كما كنت ترتلُ في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»، وكذا رفعة مقام كل من اشتغل به قصد الإفادة والاستفادة. فحظي القرآن الكريم باهتمام الجميع من متدبرين وقُراء ومفسرين وباحثين، فانطلقوا يتدارسونه ويبحثون في شتى مجالاته وعلومه تفحيصاً وتدقيقاً.

ومن بين علوم القرآن الكريم، علم التفسير؛ الذي يعد أساس فهم القرآن وبدونه لا يستقيم ذلك. ويعرف علم التفسير بأنه علم يفهم به مراد الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه مُحَمَّد ﷺ، من بيان لمعانيه واستخراج حكمه وأحكامه. وله عدة طرق، من بينها التفسير الموضوعي، هذا الأخير بدوره له ثلاث أنواع هي: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، التفسير الموضوعي للسورة القرآنية والتفسير الموضوعي للموضوع القرآني؛ وهذا ما يعنى به بحثنا.

فاشتغل الذكر الحكيم بموضوعات كثيرة، تخص جانب العقيدة والعبادات والتشريعات والأحكام والمعاملات...، ومن بين أهم هذه الموضوعات وأكثرها جدلاً في هذا العصر؛ الوسطية المرفوضة في القرآن الكريم وهو موضوعٌ عقديٌ، لم تفرد له دراسة خاصة قبلاً ولم يتناوله المتأخرون ولا المتقدمون إلا بإشارات حيية.

الإشكالية:

وعلى حسب ما ذكرنا آنفاً، يبزُغ تساؤل محوري عن ماهية الوسطية المرفوضة في القرآن الكريم؟ وما دلالتها في كل آية؟

وتندرج تحت هذا التساؤل عدة أسئلة فرعية، وهي كالتالي:

_ ماذا نعني بالوسطية؟

_ هل الوسطية بشكل عام مرفوضة؟ أم هناك أكثر من وسطية واحدة؟

_ ماهي المواضع التي ذكر فيها القرآن هذه الوسطية المذمومة؟ وما دلالاتها؟

أهمية الدراسة:

_ تتجلى أهمية بحثنا في كونه يتعلق بكتاب الله، وهذا يكفي الباحث شرفاً ورفعة.

_ كونه يتعلق بعلوم القرآن وبالتفسير خاصة، ولما له من فضل عظيم وشأن في فهم كتاب الله.

_ الوسطية هي ميزة هذه الأمة، والحديث حولها هو محط اهتمام واستقطاب للباحثين والدارسين. فكيف بها وهي وسطية مرفوضة؟؟

_ يُعد هذا البحث استزادةً في البحوث الإسلامية، لتفرده بهذا الموضوع بشكل خاص.

أهداف البحث:

_ وأسمى هدف وغاية في هذه الدراسة هو تعلم معارف جديدة تخص كتاب الله.

_ توضيح المقصود من الوسطية المرفوضة والفرق بينها وبين الوسطية المحمودة.

_ تتبع مواضع آيات الوسطية الباطلة في القرآن، وتبيين دلالتها.

أسباب اختيار الموضوع:

وتنقسم هذه الأسباب إلى:

1_ أسباب ذاتية: وهي:

_ الرغبة في الاطلاع على هذا الموضوع الفريد من نوعه، والذي لم يكن لي سابق معرفة به.

_ الرغبة في التعلم والاستفادة والإفادة أيضاً.

2_ أسباب موضوعية:

_الموضوع ذو طابع علمي، يتعلق بعلوم القرآن عامة، وبعلم التفسير خاصة، وهي من أسمى العلوم التي يمكن للباحث تعلمها والاستفادة منها.

_ حل الإشكال الحاصل بين مطلق الوسطية، والوسطية المرفوضة لدى الكثير من الأشخاص.

_ كون الموضوع المختار جديداً نوعاً ما على مباحث المكتبات الإسلامية.

المنهج المتبع في الدراسة:

اتبعنا في هذه الدراسة منهجين أساسيين:

_ المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع مواضع الوسطية المرفوضة في القرآن.

_ المنهج الوصفي التحليلي: لتحليل الآيات التي تعنى بهذا الموضوع، ووصف حال هؤلاء المتوسطين.

الدراسات السابقة:

كما سبق وذكرنا الموضوع جديد، لم يسبق الخوض فيه ولا الحديث عنه إلا دراسات قليلة، ومن بين هذه الدراسات القريبة له، نذكر:

_ كتاب الوسطية في القرآن الكريم للدكتور علي مُحَمَّد الصلابي، وهو عبارة عن رسالة ماجستير، تحدث فيها عن الوسطية في القرآن، فشرح مفهوم الوسطية، وذكر وسطية القرآن الكريم في العقائد، ثم في العبادات والأخلاق والتشريع، وقد تحدث الصلابي عن الوسطية الصحيحة فقط، بخلاف موضوعنا تماماً، الذي يتحدث عن الوسطية المرفوضة في القرآن.

_ كتاب كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها للدكتور يوسف القرضاوي-رحمه الله- الذي وضح مفهوم الوسطية بصفة عامة، ومظاهرها في الإسلام، ومعالمها. وكثير من هذه الكتب باسم الوسطية في القرآن، التي تناولت الوسطية المقبولة فقط.

_ كتاب السلطة الغالبة لإبراهيم عمر السكران، والذي أصل لموضوع الوسطية المرفوضة في كتابه بشكل مختصر موجز، فكان بمثابة نقطة الانطلاق لبحثنا. فالكتاب بشكل عام يتحدث عن الاستبداد الثقافي الذي يمارسه المتفلسفون في الدين، فذكر خلاله في جزءٍ من فصل، آيات الوسطية المرفوضة وما ينهجه أصحابها في اعتقادهم.

صعوبات البحث:

وكأي بحث لا يخلو من الصعوبات والعراقيل، نذكر منها:

_ كون الموضوع جديداً تقريباً في البحوث الإسلامية، وما تكلم فيه إلا قليل من الباحثين وبإشارات مختصرة.

_ صعوبة إيجاد المادة العلمية في المكاتب وحتى الكتب الالكترونية، فجعلتُ أتلقف المعلومة من مكان إلى آخر.

منهجية البحث:

اتبعنا في موضوعنا، طريقة بحثية بيانها كالآتي:

1_ تخريج الآيات في المتن وبالشكل التالي: [اسم السورة: رقم الآية]، وكتابة الآية تكون بين قوسين مزهرين:﴿ ﴾.

2_ وضع الأحاديث بين شولتين هكذا:« ».

3_ توثيق المعلومات في الهامش بالشكل التالي: اسم الكتاب، اسم المؤلف، التحقيق، رقم الطبعة، مكان النشر، دار النشر، تاريخ النشر، الجزء، الصفحة.

4_ إذا أعدنا اعتماد مرجع ما فنكتب: اسم الكتاب، اسم المؤلف، (مرجع سابق)، الجزء، الصفحة. أما إذا كان المرجع المعاد استخدامه متعاقبين فنوثق بالشكل التالي: المرجع نفسه، الجزء، الصفحة.

5_ لم نعرف بأي علم في بحثنا، لأن الأعلام المذكورين إما متقدمين ليسوا بالمغمورين –رحمهم الله–، وإما محدثين معاصرين، وكل هؤلاء في غِنا عن التعريف.

خطة البحث:

قسما هذا البحث إلى:

مقدمة؛ بينا فيها أهمية هذه الدراسة ،أسباب اختيارنا لها بالإضافة إلى الهدف منها، ثم المنهج الذي اتبعناه، والدراسات السابقة التي تحدثت عن هذا الموضوع، العراقيل التي واجهتنا خلاله، ثم المنهجية العامة للبحث، فالخطة.

ومبحث تمهيدي؛ وفيه مدخل عام حول الموضوع.

ومبحثين اثنين، الأول بعنوان: مصطلحات البحث _تأصيل وبيان_ ويندرج تحته ثلاث مطالب، الأول بعنوان مفهوم الوسطية، وتناولنا فيه تعريفها لغة واصطلاحاً، والثاني في تعريف القرآن، والثالث في مفهوم الدراسة الموضوعية، ثم اختتمنا المبحث بنتيجةٍ عن ما جاء فيه.

أما المبحث الثاني، فهو بعنوان آيات الوسطية المرفوضة في القرآن الكريم، ويندرج تحته مطلبان، الأول لآيات الوسطية المرفوضة في سورة البقرة، وبدأنا هذا المطلب بـ بين يدي السورة، ثم عرجنا للآيات الثلاث كل على حدة، بياناً وتحليلاً، والمطلب الثاني لآيات الوسطية المرفوضة في سورة النساء، بدأنا بمقدمة حول السورة، ثم شرح وتحليل للآيات الأربع من سورة النساء. ثم خلاصة شاملة لهذا المبحث.

وخاتمة؛ مثلت النتائج المجنية، على ما هي الأعراف العلمية، في خواتيم الأعمال الأكاديمية.

مدخل تمهيدي

مدخل تمهيدي:

القرآن الكريم أعظم الكتب السماوية وأجلها على الاطلاق، لسماحته وجلال قدره، يقول سبحانه وتعالى: **﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾** [يونس: 37]. فجاء خاتماً للكتب السماوية ومصححاً ومبيناً ومشرعاً.

أُنزل على خير أمة، امتازت بالعدل والخيرية، ذلك في قوله جل علاه: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** [البقرة: 143].

وفي معنى الوسطية هنا قولان: "قال بعضهم وسطا: عدلًا، وقال بعضهم: أخياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل"[1].

يقول مقاتل بن سليمان في تفسيره لهذه الآية: أُمَّةً وَسَطاً أي عدلا، يعني أن أمة مُحَمَّد تشهد بالعدل فِي الآخرة بين الْأَنْبِيَاء وَبَيْنَ أممهم[2].

فالعدالة والخيرية صفتان ملازمتان لأمة مُحَمَّد، وبهما تميزت عن سائر الأمم، وهذه الوسطية في القرآن الكريم، هي وسطية مقبولة صحيحة، لا غبار عليها، يرضاها الدين والشارع.

فإذا كانت هذه هي الوسطية المطلوبة في معنى الآية 143 من سورة البقرة، فما هي إذن الوسطية الباطلة؟ وفيما تمثلت؟ وما الآيات التي ورد فيها ذكر الوسطية المرفوضة؟

كل هذا سنجيب عنه في المبحثين المواليين بالتفصيل.

---

[1] معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، عبد الجليل عبده شلبي، ط: 01، بيروت، عالم الكتب، 1408هـ _1988م، ج 1، ص 219.

[2] ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، عبد الله محمود شحاته، ط: 01، بيروت، دار إحياء التراث، 1423هـ، ج 1، ص 145.

المبحث الأول : مصطلحات البحث_ تعريف وبيان_

المطلب الأول : مفهوم الوسطية

المطلب الثاني : تعريف القرآن الكريم

المطلب الثالث : تعريف الدراسة الموضوعية

المبحث الأول: مصطلحات البحث _ تعريف وبيان _

نتطرق في هذا المبحث إلى التعريف بمصطلحات البحث، وقد قسمناه إلى ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف الوسطية:

ونبدأ المطلب الأول بفرعين؛ الأول ببيان مفهوم الوسطية لغةً، والفرع الثاني بتعريفها اصطلاحاً.

الفرع الأول: تعريف الوسطية لغة:

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) في باب السين والطاء: "وسط: الوَسْط، مُخَفَّفاً يكونُ مَوْضِعاً للشّيء، تقول: زيدٌ وَسْطَ الدّار، فإذا نصبت السّين صار اسماً لما بين طَرَفي كلِّ شيء. ووَسَطَ فلانٌ جماعةً من النّاسِ، وهو يَسِطُهُمْ، إذا صار في وَسطهم. وسُمِّي واسطُ الرَّحل واسِطاً، لأنّه وَسَطٌ بين الآخرةِ والقادمةِ، وجَمْعُه: أواسط.. وواسطة القِلادة: جَوْهَرةٌ تكون في وَسَط الكِرْسِ المَنْظُوم. وفلانٌ وَسِيطُ الحَسَب في قَوْمه، وقد وَسُطَ وَساطة وسِطَةً.. ووسّطة توسيطا. قال:

وَسَّطت من حنظلةَ الأُصْطُمّا[1].

وفلانٌ وسيطُ الدّارِ، وامرأةٌ وسيطةٌ ... والواسط: النّبات، هُذَليّة. وواسط: كورة. والوَسَطُ من النّاس وكلّ شيءٍ: أَعْدَلَه، وأفضله، ليس بالغالي ولا المقَصِّر"[2].

---

[1] ديوان رؤبة بن العجاج، رؤبة بن العجاج، ص 183.

[2] العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي. ابراهيم السامرائي، د ط، د م ن، دار ومكتبة الهلال، ج 7، ص 279.

وقال ابن فارس(ت395هـ): "وسط الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف. وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه. قال الله عز وجل: ﴿**أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة: 143]. ويقولون: ضربت وسط رأسه بفتح السين، ووسط القوم بسكونها. وهو أوسطهم حسبا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا. والوسوط: بيت من بيوت الشعر أكبر من المظلة. ويقال الوسوط من النوق كالصفوف تملأ الإناء"[1].

ويفصل ابن منظور(ت711هـ) فيقول: وسط: وسَطُ الشَّيْءِ: مَا بَيْنَ طرَفَيْه؛ قَالَ:

إذا رَحَلْتُ فاجْعلُوني وَسَطا ... إِنِّي كَبِير، لَا أُطِيق العُنّدا[2]

أَي اجْعَلُوني وَسَطًا لَكُمْ تَرفُقُون بِي وَتَحْفَظُونَنِي، فإِني أَخاف إِذا كُنْتُ وَحْدِي مُتقدِّماً لَكُمْ أَو متأَخّراً عَنْكُمْ أَن تَفْرُط دَابَّتِي أَو نَاقَتِي فتصْرَعَني، فإِذا سكَّنت السِّينَ مِنْ وسْط صَارَ ظَرْفًا[...] قَالَ: وَاعْلَمْ أَنّ الوسَط قَدْ يأْتِي صِفَةً، وإِن كَانَ أَصله أَن يَكُونَ اسْمًا مِنْ جِهَةِ أَن أَوسط الشَّيْءَ أَفضله وَخِيَارُهُ كوسَط الْمَرْعَى خيرٌ مِنْ طَرَفَيْهِ[...]

وقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ**﴾ [الحج: 11]؛ أَي عَلَى شَكّ فَهُوَ عَلَى طرَف مِنْ دِينه غيرُ مُتوسّط فِيهِ وَلَا مُتمكّن، فَلَمَّا كَانَ وسَطُ الشَّيْءِ أَفضلَه وأَعْدَلَه جَازَ أَن يَقَعَ صِفَةً، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿**وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾ [البقرة: 143]؛ أَي عَدْلًا، فَهَذَا تَفْسِيرُ الوسَط وَحَقِيقَةُ مَعْنَاهُ وأَنه اسْمٌ لِمَا بينَ طَرَفَيْ الشَّيْءِ وَهُوَ مِنْهُ، قَالَ: وأَما الوسْط، بِسُكُونِ السِّينِ، فَهُوَ ظَرْف لَا اسْمٌ جَاءَ عَلَى وِزَانِ نَظِيرِهِ فِي الْمَعْنَى وَهُوَ بَيْن، تَقُولُ: جَلَسْتُ وسْطَ الْقَوْمِ أَي بيْنَهم[3].

تدور معاني مادة وسط حول العدل والخيار والانتصاف والتوسط بين الشيئين.

---

[1] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، د ط، د م ن، دار الفكر، 1399هـ .1979م، ج 6، ص 108.

[2] لسان العرب، ابن منظور، ج 7، ص 426، جاء من غير نسبة، ونسبه ابن فارس في المقاييس للراجز ج 4، ص 153.

[3] ينظر: لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ط: 03، بيروت، دار صادر، 1414هـ، ج 7، ص 426.427.428.

الفرع الثاني: تعريف الوسطية اصطلاحا:

يقول الطبري (ت310هـ) في تأويل الآية 143 من سورة البقرة: "وَأَمَّا الْوَسَطُ فَإِنَّهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْخِيَارُ، يُقَالُ مِنْهُ: فُلَانٌ وَسَطُ الْحَسَبِ فِي قَوْمِهِ: أَيْ مُتَوَسِّطُ الْحَسَبِ، إِذَا أَرَادُوا بِذَلِكَ الرَّفْعَ فِي حَسَبِهِ، وَهُوَ وَسَطٌ فِي قَوْمِه [...]

قَالَ: وَأَنَا أَرَى أَنَّ الْوَسَطَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الْوَسَطُ الَّذِي بِمَعْنَى الْجُزْءِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، مِثْلَ وَسَطُ الدَّارِ مُحَرَّكُ الْوَسَطِ مُثَقَّلَهُ، غَيْرُ جَائِزٍ فِي سِينِهِ التَّخْفِيفُ. وَأَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ إِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ وَسَطٌ لِتَوَسُّطِهِمْ فِي الدِّينِ، فَلَا هُمْ أَهْلُ غُلُوٍّ فِيهِ، غُلُوَّ النَّصَارَى الَّذِينَ غَلَوْا بِالتَّرَهُّبِ وَقِيلُهُمْ فِي عِيسَى مَا قَالُوا فِيهِ، وَلَا هُمْ أَهْلُ تَقْصِيرٍ فِيهِ تَقْصِيرُ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ وَكَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ وَكَفَرُوا بِهِ؛ وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ تَوَسُّطٍ وَاعْتِدَالٍ فِيهِ، فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، إِذْ كَانَ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ أَوْسَطَهَا. وَأَمَّا التَّأْوِيلُ فَإِنَّهُ جَاءَ بِأَنَّ الْوَسَطَ الْعَدْلُ، وَذَلِكَ مَعْنَى الخِيَارِ؛ لِأَنَّ الْخِيَارَ مِنَ النَّاسِ عُدُولُهُمْ"[1].

يعرفها فريد مُحَمَّد هادي عبد القادر: "مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين وإقامة الحجة عليهم"[2].

ويشرحها مُحَمَّد حسن حسن جبل بقوله: "كون الشيء مكتنفًا من حواليه أو آخذًا منهما بالتساوي امتدادًا أو قدرًا. كالواسطة والوسط المذكورات. ومنه: ﴿**فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا**﴾ [العاديات: 5]. أي دخلن في وسط الجمع وأثنائه، ومن هذا استعمال التركيب في ما بين الغايتين ﴿**فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ**﴾ [المائدة: 89].

---

[1] ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر بن مُحَمَّد جرير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط:01، د م ن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان،1422هـ .2001،ج2، ص 626.627.

[2] الوسطية في الإسلام مفهومها وضوابطها وتطبيقاتها. رسالة لنيل درجة الماجستير، فريد مُحَمَّد هادي عبد القادر، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، 1410هـ . 1411هـ، ص 45.

الوسطية هنا قيل في القَدْر، وقيل في الصِنف، وقيل فيهما، ﴿**وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾ [البقرة: 238]. الراجح أنها العصر، وهي عنده بمعنى الفُضْلى"[1].

ويقول عنها يوسف القرضاوي بأنها: من أبرز خصائص الإسلام، ويعبر عنها أيضا بـ "التوازن" أو "الاعتدال"، ونعني بها: التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه[...]

فالوسطية هي التي تقيم الوزن بالقسط، بلا طغيان ولا إخسار[2].

و هذه الوسطية في القرآن الكريم هي الوسطية المطلوبة؛ وهي حق بين باطلين، والتي تحدث عنها الدكتور علي مُحَمَّد الصلابي في كتابه _الوسطية في القرآن الكريم_ أو بالأحرى رسالته لنيل درجة الماجستير، وبخلافه موضوعنا؛ الذي يتحدث عن الوسطية المرفوضة التي ذكرها القرآن وهي توسط بين حق وباطل، وقد أخرنا الحديث عنها لكونها لب الموضوع، والاستفاضة فيها متروكة للمبحث الثاني بالشواهد القرآنية وتفسيرها.

[1] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مُحَمَّد حسن حسن جبل، ط: 01، القاهرة، مكتبة الآداب، 2010م، ج 2، ص 1007.

[2] ينظر: كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، يوسف القرضاوي، ط:03، القاهر مصر، دار الشروق، 2011م، ص 13.

المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم:

قال الأزهري (ت370هـ) في باب القاف والراء: قَرَأَ: قَالَ أَبُو إِسْحَاق الزّجاج: يسمَّى كلامُ الله الَّذِي أنزلهُ على نبيه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كِتاباً، وقرآناً، وفُرقاناً، وذِكْراً. قَالَ: وَمعنى قُرْآن معنَى الْجمع[...]

قَالَ: وَيجوز أَن يكون معنى قرأتُ الْقُرْآن لفظْتُ بِهِ مجموعاً، أَي: ألقيتُه.

وَأَخْبرنِي مُحَمَّد بن يَعْقُوب الأصمّ، عَن مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم أَن الشَّافِعِي أخبرَه أَنه قَرَأَ الْقُرْآن على إِسْمَاعِيل بن قُسْطَنْطين. وَكَانَ يَقُول: القرآنُ اسمٌ وَلَيْسَ بمهموز، وَلم يُؤْخَذ مِن قرأتُ، وَلكنه اسمٌ لكتاب الله، مثل التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل. قَالَ: ويُهمز قَرَأت وَلَا يهمز الْقُرْآن، كَمَا تَقول إِذا قَرَأت الْقُرْآن[...]. وقرأْتُ القرآنَ: لفظتُ بِهِ مجموعاً[...]

يُقَال: قرأتُ الْقُرْآن وَأَنا أقرؤه قَرْءاً وَقِرَاءَة وقُرآناً، وَهُوَ الِاسْم، وَأَنا قارىءٌ من قومٍ قُرّاء وقَرَأة وقارئين، وأقرأتُ غَيْرِي أقرئه إقراء، وَمِنْه قيل: فلَان المقرىء[1].

ويختصر الصاحب بن عباد (ت385هـ) فيقول: "قَرَأْتُ القُرْآنَ قِراءَةً، فأنا قارِئٌ، والقُرْآنُ مَقْرُوْءٌ. ورَجُلٌ قارِئٌ: أي عابِدٌ ناسِكٌ. وسُمِّيَ القُرآنُ قُرْآناً لأنَّ القارِئَ يُظْهِرُه ويُبَيِّنُه ويَلْفِظُه من فيه"[2].

قال الجوهري(ت393هـ) : "قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض ...وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمّي القرآن. وقال أبو عبيدة: سمّي القرآن لأنه يجمع السُّوَرَ فيضمها. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ**﴾ [القيامة: 17]. أي جمعه وقراءته،

---

[1] ينظر: تهذيب اللغة، مُحَمَّد بن أحمد الأزهري الهروي، تح: مُحَمَّد عوض مرعب، ط: 01، بيروت، دار احياء التراث العربي،2001م، ج 9، ص 209. 210. 211.

[2] المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، تح: مُحَمَّد حسين آل ياسين، ط: 01، بيروت، عالم الكتب، 1414هـ . 1994م، ج 6، ص 9.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: 18]. أي قراءته. قال ابن عبَّاس: فإذا بيَّنَّاه لك بالقراءة فاعمل بما بيَّنَّاهُ لك. وفلان قرأ عليك السلام وأقراك السلامَ، بمعنًى. وأقرأه القرآن فهو مُقْرِئٌ، وجمع القارئ قرأة مثال كافر وكفرة"[1].

ومادة قرأ لا تنفك تدور حول معاني الجمع وضم الشيء إلى بعضه، ولذلك سُمي القرآنُ قرآناً لأنه يَجمع السور فيضُمها وقرأتُ القرآن لفظتُ به مجموعاً.

"والقرآن الكريم هو كلام الله المعجز، المنزّل على النّبي مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلم، باللفظ العربي، المكتوب في المصاحف، المتعبّد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس"[2].

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل الجوهري، أحمد عبد الغفور عطار، ط: 04، بيروت، دار العلم للملايين، 1407هـ. 1987م، ج 1، ص 65.

[2] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: 02، دمشق، دار الفكر العاصر، 1418هـ، ج 1، ص 13.

المطلب الثالث : مفهوم الدراسة الموضوعية:

لتعريف الدراسة الموضوعية نقوم بتفكيك هذا المركب، فنُعرف كِلا شقيْه على حدى، ثم نعرفه اجمالاً.

الفرع الأول: تعريف الدراسة:

يقول ابن دريد (ت 321): "دَرَسَ المنزلُ وغيرُه يدرِس، وَقَالُوا بِالْفَتْح وَهُوَ قَلِيل، وبالضمّ قد قيل وَهُوَ كثير، دروساً، فَهُوَ دارس. ودَرَسْتُ القرآنَ وَمَا أشبهه أدرُسه درساً"[1].

قال ابن فارس: (دَرَسَ) الدَّالُ وَالرَّاءُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خَفَاءٍ وَخَفْضٍ وَعَفَاءٍ. فَالدَّرْسُ: الطَّرِيقُ الْخَفِيُّ. يُقَالُ دَرَسَ الْمَنْزِلُ: عَفَا [...]

وَمِنَ الْبَابِ دَرَسْتُ الْقُرْآنَ وَغَيْرَهُ. وَذَلِكَ أَنَّ الدَّارِسَ يَتَتَبَّعُ مَا كَانَ قَرَأَ، كَالسَّالِكِ لِلطَّرِيقِ يَتَتَبَّعُهُ[2].

يقول ابن منظور: ودَرَسَ الكتابَ يَدْرُسُه دَرْساً ودِراسَةً ودارَسَه، مِنْ ذَلِكَ، كأَنه عَانَدَهُ حَتَّى انْقَادَ لِحِفْظِهِ. وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا: وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ، وَلِيَقُولُوا دارَسْتَ، وَقِيلَ: دَرَسْتَ قرأَتَ كتبَ أَهل الْكِتَابِ، ودارَسْتَ: ذاكَرْتَهُم [...]

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ الْعَبَّاسِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: 105] قَالَ: مَعْنَاهُ وَكَذَلِكَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا لِكَيْ يَقُولُوا إِنك دَرَسْتَ أَي تَعَلَّمَتْ أَي هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ عُلِّمْتَ [...]

وأَصل الدِّراسَةِ: الرِّيَاضَةُ والتَّعَهُّدُ لِلشَّيْءِ[3].

---

[1] جمهرة اللغة ، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بلعبكي، ط: 01، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م، ج 2، ص 627.

[2] ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس(مرجع سابق)، ج 2، ص 267.268.

[3] ينظر: لسان العرب، ابن منظور(مرجع سابق)، ج 6، ص 79.80.

الفرع الثاني: تعريف الموضوعية:

يقول الجوهري في هذا الباب: "وضع المَوْضِعُ: المكان. والمَوْضِعُ أيضاً: مصدر قولك وضعت الشيء من يدي وَضْعاً، ومَوْضوعاً وهو مثل المعقول، ومَوْضِعاً. والمَوْضَعُ بفتح الضاد: لغة في الموضع، سمعها الفراء. ويقال في الحَجَر وفي اللبِن إذا بُنِي به: ضَعْهُ على غير هذه الوضعة والوضعة والضعة كله بمعنى"[1].

قال ابن منظور: "وضع: الوَضْعُ: ضِدُّ الرَّفْعِ، وضَعَه يَضَعُه وَضْعاً ومَوْضُوعاً، وأَنشد ثَعْلَبٌ بَيْتَيْنِ فِيهِمَا: مَوْضُوعُ جُودِكَ ومَرْفوعُه، عَنَى بِالْمَوْضُوعِ مَا أَضمره وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ، وَالْمَرْفُوعُ مَا أَظهره وَتَكَلَّمَ بِهِ. والمواضِعُ: مَعْرُوفَةٌ، وَاحِدُهَا مَوْضِعٌ، وَاسْمُ الْمَكَانِ المَوْضِعُ والموضَعُ، بِالْفَتْحِ؛ الأَخير نَادِرٌ لأَنه لَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَفْعَلٌ مِمَّا فَاؤُهُ واوٌ اسْمًا لَا مَصْدراً إِلا هَذَا، فأَما مَوْهَبٌ ومَوْرَقٌ فَلِلْعِلْمِيَّةِ، وأَما ادْخُلُوا مَوْحَدَ فَفَتَحُوهُ إِذ كَانَ اسْمًا مَوْضُوعًا لَيْسَ بِمَصْدَرٍ وَلَا مَكَانٍ، وإِنما هُوَ مَعْدُولٌ عَنْ وَاحِدٍ كَمَا أَن عُمر مَعْدُولٌ عَنْ عَامِرٍ، هَذَا كُلُّهُ قَوْلُ سِيبَوَيْهِ.

والموضَعةُ: لُغَةٌ فِي المَوْضِعِ؛ حَكَاهُ اللِّحْيَانِيُّ عَنِ الْعَرَبِ، قَالَ: يُقَالُ ارْزُنْ فِي مَوضِعِكَ ومَوْضَعَتِكَ. والموضِعُ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ وَضَعْتُ الشَّيْءَ مِنْ يَدِي وَضْعاً وَمَوْضُوعًا، وَهُوَ مِثْلُ المِعْقُولِ، ومَوْضَعاً. وإِنه لحَسَنُ الوِضْعةِ أَي الوَضْعِ. والوَضْعُ أَيضاً: الموضوعُ"[2].

يقول أحمد مختار عمر: وضَّعَ يوضِّع، تَوْضيعًا، فهو مُوضِّع، والمفعول مُوضَّع

- وضَّع فلانٌ فلانًا: أذلّه، صيَّره دنيًّا محطوطَ القَدْر.
- وضَّع الأحجارَ: رَصَّها فوق بعضها.
- وضَّع موضوعًا: جعله غير متحيّز ومجرّدًا من الغَرض "وضَّع موقفَه من الإخوة– وَضَّع الكاتبُ أفكارَه.
- موضوع العلم: ما يُبحث فيه عن عوارضه الذَّاتيَّة كجسم الإنسان لعلم الطِّبّ[3].

---

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري(مرجع سابق)، ج 3، ص 1299.

[2] لسان العرب، ابن منظور(مرجع سابق)، ج 8، ص 396.

[3] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط: 01، د م ن، عالم الكتب، 1429هـ-2008م، ج 3، ص 2457.

الفرع الثالث : مفهوم الدراسة الموضوعية:

والدراسة الموضوعية كمركب فيقصد بها الدراسة التفسيرية الموضوعية أي التفسير الموضوعي[1].

يقول فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي في تعريفه للتفسير الموضوعي:" هو أن يلتزم المفسر موضوعا قرآنيا واحدا يجمع الآيات الواردة فيه؛ ليتناولها بالتفسير مجتمعة ليصل بعد ذلك –حسب جهده– إلى حكم القرآن النهائي في موضوعه الذي يتناوله"[2].

ويعرفه مجموعة من المتخصصين بأنه:" بيان مراد الله– تعالى– بقدر الطاقة البشرية– في موضوع معين من موضوعات القرآن الكريم، عن طريق جمع الآيات الخاصة به، ودراستها وفق منهج خاص، يبرز لنا هدف هذا الموضوع وأبعاده، ويبين غنى الإسلام تماما عن كل منهج سواه، ويوضح أن السعادة كل السعادة في اتباع المنهج الإلهي، والشقاء كل الشقاء في الإعراض عنه"[3].

الدراسة الموضوعية مركب وصفي، ويُقصدُ بها الدراسة التفسيرية الموضوعية، وهي التطرق إلى موضوع من الموضوعات القرآنية عن طريق جمع الآيات التي تتناول هذا الموضوع المدروس. وللتفسير الموضوعي ثلاث ألوان؛ التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، والتفسير الموضوعي للموضوع القرآني؛ وهو مانحن بصدد دراسته[4].

---

[1] ينظر: منهج الدراسة الموضوعية لآيات الموضوع القرآني (نقد وتأصيل)، رسالة لنيل درجة الماجستير، أسماء عبدالله عطاالله، كلية الشريعة، جامعة دمشق، 2012م، ص 689.

[2] اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط: 01، السعودية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في السعودية، 1407هـ - 1986م، ج 3، ص 862.

[3] الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، د ط، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1423هـ - 2002م، ج 1، ص 289.

[4] ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ط: 01، السعودية، دار التدمرية. مكتبة يوسف البدوي، 1430هـ- 2009م، ص 25_ 31.

الخلاصة:

وخلاصة القول في هذا المبحث، تتجلى في أن:

- الجذر اللغوي لمادة وسط يدور حول العدل والخَيار والتوسط بين الشيئين.
- أما الوسطية اصطلاحاً فهي تعني التوازن والاعتدال بين الطرفين.
- أما من ناحية الاصطلاح الشرعي فهي من أبرز سمات الاسلام، وتتفرع الوسطين إلى فرعين:

1 – وسطية مطلوبة وهي حق بين باطلين.

2 – وسطية مرفوضة وهي توسط بين حق وباطل.

- قرأ: أصلٌ يدلُ على الضم والجمع، ومنه سُميَ القرآن قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها.
- والقرآن بالمعنى المتعارف عليه هو كتاب الله المعجز بلفظه ومعناه.
- درس أصلٌ يدل على الخفاء .والموضوعية اسم مشتقٌ من الوضعِ.
- والدراسة الموضوعية هي علم التفسير الموضوعي، ويُعّرف هذا الأخير بأنه:

علم بيان مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، في موضوع من موضوعات القرآن الكريم، عن طريق جمع الآيات التي تتعلق به، ودراستها وفق منهج خاص[1].

وهذا ما تُعنى به دراستنا، من خلال تتبع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع الوسطية المرفوضة، وهو ما سنراه في المبحث الموالي.

[1] ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، د ط، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1423هـ. 2002م، ج:1، ص: 289.

المبحث الثاني: آيات الوسطية المرفوضة في القرآن الكريم

وفيه:

المطلب الأول: آيات سورة البقرة

المطلب الثاني: آيات سورة النساء

المبحث الثاني: آيات الوسطية المرفوضة في القرآن

نتحدث في هذا المبحث عن الآيات القرآنية التي عرجت لتبيان الوسطية المرفوضة التي احتكم إليها كثير من أهل البدع، وهي سبع آيات، في سورتين اثنتين؛ البقرة والنساء، و تفصيل ذلك كالآتي:

المطلب الأول: آيات سورة البقرة

والآيات التي تحدثت عن موضوع الوسطية المرفوضة؛ في سورة البقرة هي ثلاث آيات، وقبل ذكرها والتفصيل فيها، نتطرق أولاً لما بين يدي السورة:

الفرع الأول: بين يدي السورة

أولاً: اسم السورة:

تسمى سورة البقرة، وردت في أكثر من حديث صحيح منها قول النبي «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه»[1]، وكان خالد بن معدان يسميها فسطاط القرآن، عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إن لكل شيء سناما، وإن سنام القرآن البقرة»[2]، والسنام الرفعة. كما ورد وصفها بالزهراء في الحديث:« اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران»[3] [4].

ثانياً: فضائل السورة:

لها عدة فضائل، نذكر من بينها:

البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان بل ينفر ويفر منه ويخرج إذا كان فيه:

قال مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب وهو ابن عبد الرحمن القاري عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:« لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه البقرة»[5].

---

[1] البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب حدثني خليفة، حديث 4008، ج 8، ص 84.

[2] الحاكم، المستدرك، كتاب فضائل القرآن، باب أخبار في فضل سورة البقرة، حديث 2058، ج 1، ص 748.

[3] أحمد، المسند، تتمة مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، حديث 22146، ج 36، ص 462.

[4] ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، ط: 01، جامعة الشارقة، مركز تفسير الدراسات القرآنية، 1431. 2010، ص 19.

[5] أحمد، المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، حديث 9042، ج 15، ص 17.

لما رأى النبي ﷺ تأخراً في أصحابه يوم حنين ناداهم يا أصحاب سورة البقرة:

قال البسوي: حدثنا أبو ثنا سفيان قال سمعت الزهري يقول أخبرني كثير بن عباس عن أبيه قال: "كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ الْجُذَامِيُّ فَلَمَّا وَلَّى الْمُسْلِمُونَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبَّاسُ نَادِ قُلْتُ: يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَكُنْتُ رَجُلًا صَيِّتًا فَقُلْتُ: يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ»[1].

استحق صاحبها أن يكون أميراً على من هو أكبر منه:

«حدثنا أَبُو عَمَّارٍ الْحَسَنُ بْنُ حُرَيْثٍ، حدثنا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ عَطَاءٍ مَوْلَى أَبِي أَحْمَدَ عن أبي هريرة قال:" بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم نفر فدعاهم رسول الله ﷺ قال:« ماذا معك من القرآن؟ فاستقرأهم حتى مر على رجل منهم وهو من أحدثهم سناً قال: ماذا معك يا فلان؟ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة قال: معك سورة البقرة؟ قال: نعم قال: اذهب فأنت أميرهم»[2].

هي سنام القرآن:

قال الحميدي: ثنا سفيان حكيم بن جبير عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:« إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة فيها آية سيدة آي القرآن لا تقرأ في بيت وفيه شيطان إلا خرج منه آية الكرسي»[3].

هي الزهراء تأتي يوم القيامة كأنها غياية أو غمامة أو فرق من طير صواف تحاج عن صاحبها وإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة وتقدم القرآن وأهله يوم القيامة:

قال مسلم: حدثني الحسن بن علي الحلواني حدثنا أبو توبة وهو الربيع بن نافع حدثنا معاوية يعني ابن سلام عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول حدثني أبو أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل

[1] الحميدي، المسند، أحاديث العباس بن عبد المطلب، حديث 464، ج 1، ص 421.

[2] ابن خزيمة، الصحيح، باب استحقاق الإمامة بالازدياد، حديث 1509، ج 3، ص 5.

[3] الحميدي، المسند، أحاديث أبي هريرة، حديث 1024، ج 2، ص 207.

عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فِرقانِ من طير صَوَافَّ تُحاجانِ عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البَطَلَةُ»[1] قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة[2].

ثالثاً: مدنية السورة:

السورة مدنية بالإجماع، وهي أول سورة نزلت بالمدينة. ورد من عدة طرق عن عبدالله بن العباس أنه قال:" نزلت بالمدينة سورة البقرة"[3].

أخرج الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن يوسف بن ماهك قال:" إني عند عائشة أم المؤمنين ﵂ إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرك، قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعلي أؤلف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك آي قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لاندلع الخمر أبدا، ولو نزل لاتزنوا لقالوا لاندلع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وإني لجارة ألعب **﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾** [القمر: 46]. وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور"[4].

وجه الاستدلال: إن وجه الاستدلال بحديث عائشة على مدنية سورة البقرة هو أنه من المعلوم أن النبي ﷺ لم يدخل على عائشة إلا بالمدينة المنورة، وكان ذلك في شوال من السنة الأولى للهجرة.

---

[1] مسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، حديث 252، ج 1، ص 553.

[2] ينظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن، مُحَمَّد بن رزق بن طرهوني، ط: 01، السعودية، دار ابن القيم، 1409، ج 1، ص 90. 111.

[3] ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم(مرجع سابق)، ص 24.

[4] البخاري، الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث 4993، ج 6، ص 185.

[5] المكي والمدني في القرآن الكريم، عبد الرزاق حسين أحمد، ط: 01، القاهرة- الجيزة، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، 1420هـ- 1999م، ج 1، ص 373.

أخرج الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس ﷺ قال:" آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا"[1].

وجه الدلالة: إن آخر آية الربا تقتضي أن تكون الآية مدنية النزول، وهي من آيات سورة البقرة".

رابعاً: عدد آياتها:

لا نظير لها في عدد آيها، وكلمها ستة آلاف كلمة ومئة وإحدى وعشرون كلمة، وحروفها خمسة وعشرون ألفاً وخمس مئة حرف، وهي مائتا آية وثمانون وخمسُ آيات في المدنيين والمكي والشامي، وست في الكوفي، وسبع في البصري"[2].

خامساً: محور السورة:

هي أطول سورة في القرآن الكريم، ومع هذا فإن الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة واضحة تمام الوضوح.

ويكاد يتفق جمهور المعاصرين على أن محور السورة يدور حول الخلافة في الأرض ومقوماتها وأهلها. وهذا يتفق مع مضمون السورة إلى حدٍ كبير، ولذلك توطأ عليه بعض القدامى جمهرة المعاصرين؛ ذلك أن السورة استفتحت بالحديث عن القرآن موقف الناس حياله، ثم تحدثت بعد ذلك عن خلافة آدم، وتحدثت حديثاً مطولاً عن بني اسرائيل وذكرت طرفاً من مثالبهم، مما كان داعياً إلى أن ينالوا عهد الله، ثم انتقل الحديث إلى المسلمين ليخاطبهم بموجبات الخلافة.

ومحور السورة العام يدور حول منهج خلافة الله في الأرض بين من أضاعوه ومن أقاموه، وهذا المحور يتناسب مع موضوعات السورة ومع ملابسات نزولها؛ فسورة البقرة أول سورة نزلت بالمدينة كما سلف، وقد صار للمسلمين عندئذ دولة وأرض، فناسب أن يخاطبوا لوراثة الاستخلاف الإلهي لهم.

---

[1] البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن . سورة البقرة، باب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، حديث 4544، ج 6، ص 33.

[2] البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني الأندلسي، تح: غانم قدوري الحمد، ط: 01، الكويت، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ص 140.

أما موضوعاتها فتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: خطاب لليهود أو عن اليهود وهذا ما يمثله الشطر الأول في السورة تقريباً.

القسم الثاني: خطاب للمسلمين، وتكليفهم بجملة من أحكام العبادات والمعاملات المالية والأسرية والدولية.

والسورة بشكل عام فتشمل؛ مقدمة، وتتحدث عن مقصدين؛ الأول عن هداية القرآن وموقف الناس منها، والثاني، عن أمر الناس باتباع المنهج، وليذكرهم بأصوله وغاياته وليضرب لهم نموذج الاستخلاف الأول في الكون.

ومحورين؛ المحور الأول بعنوان: بنو إسرائيل ومبررات عزلهم عن القوامة والخلافة: وفيه مقدمة بعنوان تذكير وعتاب لبني إسرائيل، وأربعة مقاطع:

المقطع الأول بعنوان: أحوال بني إسرائيل مع موسى عليه السلام.

والمقطع الثاني بعنوان: مواقف اليهود المعاصرين للنبي.

والمقطع الثالث تحدث عن: دعوة إبراهيم وتبرؤها من ادعاءات السابقين.

أما المقطع الرابع فعنوانه: انتقال القبلة والإمامة في الدين لأمة سيد المرسلين.

والمحور الثاني بعنوان: مقومات استحقاق أمة الإسلام للقوامة والخلافة: وجاء تفصيل هذا المحور في ستة مقاطع موجزةٍ:

المقطع الأول: تفصيل بعض أمور البر.

المقطع الثاني: نماذج بشرية ومواعظ إلهية.

المقطع الثالث: تفاصيل أحكام الأسرة.

المقطع الرابع: قصص الإحياء والإماتة والعبرة منها.

المقطع الخامس: الإنفاق؛ آدابه والمستحقون له.

المقطع السادس: حفظ الأموال عن الحرام وعن الإضاعة.

وخاتمة؛ وفيها رد لآخرها على أولها، والشهادة للأمة بالإيمان واللجوء إلى الله[1].

[1] ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، (مرجع سابق)، مصطفى مسلم، ص 26. 32.

سادساً: المناسبات في السورة:

أ. **مناسبة اسم السورة لمحورها:** سميت سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة بني اسرائيل فيها، ولم ترد أي إشارة في أي سورة غيرها.

ب. **المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:** بدأ في السورة بمدح المتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، وبيَّن آخر السورة أن الذين مدحهم في أول السورة هم أمة مُحَمَّد فقال: ﴿**وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ**﴾ [البقرة: 285].

ت. **المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:** المناسبة بين افتتاحية البقرة وخاتمة الفاتحة واضحة تمام الوضوح، وقد أشار إليها جمع كبير من العلماء، ففي سورة البقرة ذكر الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة، فذكر الذين على هدى من ربهم وهم المنعم عليهم، والذين اشتروا الضلالة بالهدى وهم الضالون، والذين باؤوا بغضب من الله وهم المغضوب عليهم.

ث. **المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:** في كلا السورتين؛ الفاتحة والبقرة، حمدٌ وثناء لله تعالى، وفيها دعاء بطلب الهداية والمغفرة.

في سورة الفاتحة دعاء من المومنين أن يسلكهم الله في طريق من أنعم عليهم، وقد أجاب الله دعائهم في سورة البقرة، وأسبغ عليهم من فضله وقال: ﴿**وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ**﴾ [البقرة: 150].

وذكر بعض العلماء أن سورة البقرة قد اشتملت على تفصيل ما أجملته الفاتحة[1].

[1] ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم(مرجع سابق)، ص 32 41.

الفرع الثاني: تفسير آيات الوسطية المرفوضة

بعد التعريف بالسورة البقرة بشكل عام، وذكرٍ لاسمها وفضائلها ومدنية السورة وعدد آياتها، والمناسبات في السورة ومحورها العام.

نتطرق الآن لتحليل آيات الوسطية المرفوضة وتفسيرها.

الآية الأولى:

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [البقرة: 14].

شرح المفردات:

"لَقُوا : اللقاء: والملاقاة: المواجهة وجهاً لوجه.

آمَنُوا: الإيمان الشرعي: التصديق بالله وبكل ما جاء به رسول الله عن الله، وأهله هم المؤمنون بحق.

خَلَوْا: الخلو بالشيء: الانفراد به.

شَيَاطِينِهِمْ: الشيطان كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من إنسان أو جان، والمراد بهم هنا رؤساؤهم في الشر والفساد.

مُسْتَهْزِئُونَ: الاستهزاء: الاستخفاف والاستسخار بالمرء"[1].

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر أبو بكر الجزائري، ط: 05، المدينة المنورة السعودية، مكتبة العلوم والحكم، 1424هـ .2003م، ج 1، ص 27.

التفسير التحليلي للآيات:

ونستعرض بعض أقوال المفسرين في ذلك:

اخْتَلَفَ الْقَوْلَانِ مِنْهُمْ، فَقَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ: آمَنَّا، وَلِشَيَاطِينِهِمْ إِنَّا مَعَكُمْ. فَانْظُرْ إِلَى تَفَاوُتِ الْقَوْلَيْنِ، فَحِينَ لَقُوا الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا آمَنَّا، أَخْبَرُوا بِالْمُطْلَقِ، كَمَا تَقَدَّمَ، مِنْ غَيْرِ تَوْكِيدٍ، لِأَنَّ مَقْصُودَهُمُ الْإِخْبَارُ بِحُدُوثِ ذَلِكَ وَنَشْئِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ،[...]

وَحِينَ لَقُوا شَيَاطِينَهُمْ، أَوْ خَلَوْا إِلَيْهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ، فَأَخْبَرُوا أَنَّهُمْ مُوَافِقُوهُمْ، وَأَخْرَجُوا الْأَخْبَارَ فِي جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ مُؤَكَّدَةٍ بِإِنَّ لِيَدُلُّوا بِذَلِكَ عَلَى ثَبَاتِهِمْ فِي دِينِهِمْ، ثُمَّ بَيَّنُوا أَنَّ مَا أَخْبَرُوا بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا كَانَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ، فَلَمْ يَكْتَفُوا بِالْإِخْبَارِ بِالْمُوَافَقَةِ، بَلْ بَيَّنُوا أَنَّ سَبَبَ مَقَالَتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا هُوَ الِاسْتِهْزَاءُ وَالِاسْتِخْفَافُ، لَا أَنَّ ذَلِكَ صَادِرٌ مِنْهُمْ عَنْ صِدْقٍ، وَجِدٍّ، وَأَبْرَزُوا هَذَا فِي الْأَخبار في جملة اسمية مُؤَكَّدَةٍ بِإِنَّمَا مُخْبَرٌ عَنِ الْمُبْتَدَأِ فِيهَا بِاسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الثُّبُوتِ، وَأَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ وَصْفٌ ثَابِتٌ لَهُمْ، لَا أَنَّ ذَلِكَ تَجَدُّدٌ عِنْدَهُمْ، بَلْ ذَلِكَ مِنْ خُلُقِهِمْ وَعَادَتِهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَأَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَقَعَتْ جَوَابًا لِمُنْكِرٍ عَلَيْهِمْ.

قَوْلُهُمْ: إِنَّا مَعَكُمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: كَيْفَ تَدَّعُونَ أَنَّكُمْ مَعَنَا وَأَنْتُمْ مُسَالِمُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ، تُصَدِّقُونَهُمْ، وَتُكَثِّرُونَ سَوَادَهُمْ، وَتَسْتَقْبِلُونَ قِبْلَتَهُمْ، وَتَأْكُلُونَ ذَبَائِحَهُمْ؟

فَأَجَابُوهُمْ بقولهم: إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ، أَيْ مُسْتَخِفُّونَ بِهِمْ، نُصَانِعُ بِمَا نُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، فَنَحْنُ نُوَافِقُهُمْ ظَاهِرًا وَنُوَافِقُكُمْ بَاطِنًا، وَالْقَائِلُ إِنَّا مَعَكُمْ، إِمَّا الْمُنَافِقُونَ لِكِبَارِهِمْ، وَإِمَّا كل المنافقين للكافرين[1].

تتحدث الآية الكريمة في بيان ما كان المنافقون يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم، فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم[2].

[1] ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تح: صدقي مُحَمَّد جميل، د ط، بيروت، دار الفكر، 1420هـ، ج 1، ص 114.

[2] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري، ط: 03، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ، ج 1، ص 65.

فتخبرنا هذه الآيات عن المنافقين وتصف أحوالهم إذ أخبر تعالى عنهم أنهم لنفاقهم وخبثهم إذا لقوا الذين آمنوا في مكان ما أخبروهم بأنهم مؤمنون بالله والرسول وما جاء به من الدين، وإذا انفردوا برؤسائهم في الفتنة والضلالة لاموهم عما ادّعوه من الإيمان.

وقالوا لهم: إنا معكم على دينكم وما آمنا أبداً. وإنما أظهرنا الإيمان استهزاءً وسخريةً بمحمد وأصحابه[1].

وقف المنافقون موقف توسط بين الإيمان والكفر، فإذا رأوا الذين آمنوا أظهروا لهم الإيمان والتصديق، وإذا انفردوا بشياطينهم قالوا إنما نحن معكم وعلى دينكم، فنستهزئ بهم؛ بإظهار الإيمان والتكتم على الكفر، وما نفعل ذلك إلا لنأمن شرهم ونقف على أسرارهم ونأخذ صدقاتهم وغنائمهم[2].

[1] ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر أبو بكر الجزائري (مرجع سابق)، ج 1، ص 28.

[2] ينظر: صفوة التفاسير، مُحَمَّد علي الصابوني، ط: 01، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ. 1997م، ج 1، ص 30. و: مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، أبو عبدالله مُحَمَّد فخر الدين الرازي، ط: 03، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ج 2، ص 309.

الآية الثانية:

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: 76].

شرح المفردات:

"وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا: إذا لقي منافقوا اليهود المؤمنين قالوا: آمنا بنبيكم ودينكم.

أَتُحَدِّثُونَهُمْ: الهمزة: للإستفهام الانكاري، وتحديثهم إخبار المؤمنين بنعوت النبي في التوراة.

بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ: إذا خلا منافقوا اليهود برؤسائهم أنكروا عليهم إخبارهم المؤمنين بنعوت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة، وهو مما فتح الله به عليهم ولم يعلمه غيرهم.

لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ: يقولون لهم لا تخبروا المؤمنين بما خصكم الله به من العلم حتى لا يحتجوا عليكم به، فيغلبوكم وتقوم الحجة عليكم فيعذبكم الله"[1].

التفسير التحليلي للآية:

وإليك أقوال بعض المفسرين:

"وقَوْلُهُ: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا**﴾ [البقرة: 14]، فَإِنَّهُ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنِ الَّذِينَ أَيْأَسَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِيمَانِهِمْ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا آمَنَّا. يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالُوا آمَنَّا؛ أَيْ صَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَبِمَا صَدَّقْتُمْ بِهِ وَأَقْرَرْنَا بِذَلِكَ. أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ وَسَلَكُوا مِنْهَاجَهُمْ"[2].

الْأَظْهَرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي لَقُوا عَائِدٌ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى نَسَقِ الضَّمَائِرِ السَّابِقَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا**﴾ [الْبَقَرَة: 75]، وَمَا بَعْدَهُ، وَأَنَّ الضَّمِيرَ الْمَرْفُوعَ بِقَالُوا عَائِدٌ عَلَيْهِمْ

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر أبو بكر الجزائري(مرجع سابق)، ج 1، ص 73.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن(مرجع سابق)، ج 2، ص 144.

بِاعْتِبَارِ فَرِيقٍ مِنْهُمْ وَهُمُ الَّذِينَ أظهرُوا الْإِيمَان نفاقاً أَوْ تَفَادِيًا مَنْ مُرِّ الْمُقَارَعَةِ وَالْمُحَاجَّةِ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: آمَنَّا وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي ضَمَائِرِ الْأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ [...].

وَجُمْلَةُ إِذا لَقُوا مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ وَقَدْ ﴿**كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ**﴾ [الْبَقَرَة: 75] على أَنهم حَالٌ مِثْلَهَا مِنْ أَحْوَالِ الْيَهُودِ وَقَدْ قُصِدَ مِنْهَا تَقْيِيدُ النَّهْيِ أَوِ التَّعْجِيبِ مِنَ الطَّمَعِ فِي إِيمَانِهِمْ فَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى الْحَالِ بِتَأْوِيلِ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ آخَرُ إِذَا لَقُوا.

وَقَوْلُهُ: وَإِذا خَلا بَعْضُهُمْ مَعْطُوفٌ عَلَى إِذا لَقُوا وهم الْمَقْصُودُ مِنَ الْحَالِيَّةِ أَيْ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يَحْصُلُ مِنْهُمْ مَجْمُوعُ هَذَا لِأَنَّ مُجَرَّدَ قَوْلِهِمْ آمَنَّا لَا يَكُونُ سَبَبًا لِلتَّعَجُّبِ مِنَ الطَّمَعِ فِي إِيمَانِهِمْ فَضَمِيرُ بَعْضُهُمْ رَاجِعٌ إِلَى مَا رَجَعَ إِلَيْهِ لَقُوا وَهُمْ عُمُومُ الْيَهُودِ [...]

وَقَوْلُهُ: أَتُحَدِّثُونَهُمْ اسْتِفْهَامٌ لِلْإِنْكَارِ أَوِ التَّقْرِيرِ أَوِ التَّوْبِيخِ بِقَرِينَةِ أَنَّ الْمَقَامَ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ جَرَى بَيْنَهُمْ حَدِيثٌ فِي مَا يَنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ فَاضِحًا لِأَحْوَالِ أَسْلَافِهِمْ وَمَثَالِبِ سِيرَتِهِمْ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ [...]

فَحَكَى اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ حِكَايَةً لِخَيْرَتِهِمْ وَاضْطِرَابِ أَمْرِهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُرْسِلُونَ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِمْ جَوَاسِيسَ عَلَى النَّبِيءِ وَالْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُبْطِنُونَ الْيَهُودِيَّةَ ثُمَّ اتَّهَمُوهُمْ بِخَرْقِ الرَّأْيِ وَسُوءِ التَّدْبِيرِ وَأَنَّهُمْ ذهبوا يَتَجَسَّسُونَ فَكَشَفُوا أَحْوَالَ قَوْمِهِمْ[1].

[1] ينظر: التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، د ط، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج 1، ص 569. 570.

وَإِذا لَقُوا يعني اليهود قالُوا آمَنَّا بأنكم على الحق، وأنّ مُحَمَّدا هو الرسول المبشر به وَإِذا خَلا بَعْضُهُمْ الذين لم ينافقوا إِلى بَعْضٍ الذين نافقوا قالُوا عاتبين عليهم أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بما بين لكم في التوراة من صفة مُحَمَّد.

أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم: أتحدّثونهم، إنكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود، ﴿**لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ**﴾ ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه، جعلوا محاجتهم به، وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله[1].

فإذا اجتمع اليهود مع المؤمنين قالوا آمنا بأنكم على الحق، وإذا خلوا ببعضهم قالوا عاتبين على بعضٍ، أتخبرون أصحاب مُحَمَّد بما بين الله لكم في التوراة من صفة مُحَمَّد، لتكون الحجة للمؤمنين عليكم في الآخرة.

وهذه الآية قريبة في معناها من الآية 14 في سورة البقرة، فقد توسطوا بين الفعلين؛ فجمعوا بين منافقة المؤمنين واقتدائهم بأسلافهم، ومن يفعل ذلك فلا يُطمعُ في إيمانه[2].

[1] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري(مرجع سابق)، ص 1، ص 157. 156.

[2] ينظر: صفوة التفاسير، مُحَمَّد علي الصابوني(مرجع سابق)، ج 1، ص 62/ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي(مرجع سابق)، ج 1، ص 440.

الآية الثالثة:

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 85].

شرح المفردات:

"تظاهرون: قرئ تظّاهرون، وتظاهرون بتاء واحدة ومعناه تتعاونون.

بالإثم والعدوان: الإثم: الضار الموجب للعقوبة، والعدوان الظلم.

أسارى: جمع أسير: من أخذ في الحرب.

الخزي: الذل والمهانة"[1].

التفسير التحليلي للآية:

وإليك تفسيرات البعض منهم:

"وقَوْلُهُ: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ عَلَى وَجْهَيْنِ. أَحَدُهُمَا:إِخْرَاجُهُمْ كُفْرٌ، وَفِدَاؤُهُمْ إِيمَانٌ، [...] وَلَمْ يَذُمَّهُمْ عَلَى الْفِدَاءِ، وَإِنَّمَا ذَمَّهُمْ عَلَى الْمُنَاقَضَةِ إِذْ أَتَوْا بِبَعْضِ الْوَاجِبِ وَتَرَكُوا الْبَعْضَ، وَقَدْ تَكُونُ الْمُنَاقَضَةُ أَدْخَلَ فِي الذَّمِّ لَا يُقَالُ هَبْ أَنَّ ذَلِكَ الْإِخْرَاجَ مَعْصِيَةٌ، فَلِمَ سَمَّاهَا كُفْرًا مَعَ أَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ الْعَاصِيَ لَا يَكْفُرُ، لِأَنَّا نَقُولُ لَعَلَّهُمْ صَرَّحُوا أَنَّ ذَلِكَ الْإِخْرَاجَ غَيْرُ وَاجِبٍ، مَعَ أَنَّ صَرِيحَ التَّوْرَاةِ كَانَ دَالًّا عَلَى وجوبه.

وثانيهما: الْمُرَادُ مِنْهُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُمْ فِي تَمَسُّكِهِمْ بِنُبُوَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ التَّكْذِيبِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّ الْحُجَّةَ فِي أَمْرِهِمَا عَلَى سَوَاءٍ يَجْرِي مَجْرَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ مِنْهُمْ فِي أَنْ يُؤْمِنُوا بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُوا بِبَعْضٍ وَالْكُلُّ فِي الْمِيثَاقِ سَوَاءٌ"[2].

"وَقَوْلُهُ: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ تَوْبِيخِيٌّ أَيْ كَيْفَ تَعَمَّدْتُمْ مُخَالَفَةَ التَّوْرَاةِ فِي قِتَالِ إِخْوَانِكُمْ وَاتَّبَعْتُمُوهَا فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، وَسُمِّيَ الْإِتْبَاعُ وَالْإِعْرَاضُ إِيمَانًا وَكُفْرًا عَلَى طَرِيقَةِ الِاسْتِعَارَةِ لِتَشْوِيهِ الْمُشَبَّهِ وَلِلْإِنْذَارِ بِأَنَّ تَعَمُّدَ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ قَدْ تُفْضِي بِصَاحِبِهَا

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر أبو بكر الجزائري(مرجع سابق)، ج 1، ص 78.

[2] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي(مرجع سابق)، ج 3، ص 593.

إِلَى الْكُفْرِ بِهِ، وَإِنَّمَا وَقع فَتُؤْمِنُونَ فِي حَيِّزِ الْإِنْكَارِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ عَجِيبٌ وَهُوَ مُؤْذِنٌ بِأَنَّهُمْ كَادُوا أَنْ يَجْحَدُوا تَحْرِيمَ إِخْرَاجِهِمْ أَوْ لَعَلَّهُمْ جَحَدُوا ذَلِكَ وَجَحْدُ مَا هُوَ قَطْعِيٌّ مِنَ الدِّينِ مُرُوقٌ مِنَ الدِّينِ"[1].

"أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ أي بالفداء وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ أي بالقتال والإجلاء. وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب فقالت: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم؟

فيقولون: أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن يذل حلفاؤنا فذمهم الله تعالى على المناقضة إذا أتوا ببعض الواجب وتركوا البعض، ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا، وقد تكون المناقضة أدخل في الذم وفي ذلك تنبيه على أنهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد ﷺ والحجة في أمرهما على سواء، يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الإيمان ببعض والكفر ببعض وكل في الميثاق سواء"[2].

في قوله تعالى: **﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾**، استفهام معناه التوبيخ والإنكار، فالله لم يذمهم على الفداء، بل على المناقضة، إذ أتوا ببعض الواجب؛ مفاداة أهل قبيلتهم، وتركوا البعض وهو ترك أسرى أهل ملتهم دون مفاداة، مع أن الحجة في أمرهما سواء. فوبخهم الله على هذا التناقض بين الأمرين، وتوعدهم بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة[3].

المطلب الثاني: آيات سورة النساء

وآيات الوسطية المرفوضة في سورة النساء، في أربعة مواضع نذكرها لاحقاً، وقبلها نعرج لما بين يدي السورة أولاً.

[1] التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور(مرجع سابق)، ص 1، ص 591.

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن النيسابوري، تح: زكريا عميرات، ط: 01، بيروت، دار الكتب العلمية، 1416م، ج 1، ص 327.

[3] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي(مرجع سابق)، ج 1، ص 471. 472/ أيسر التفاسير، جابر أبو بكر الجزائري(مرجع سابق)، ج 1، ص 79.

الفرع الأول: بين يدي السورة

أولاً: اسم السورة:

سورة النساء سميت بهذا الاسم لأن ما نزل منها في أحكام النساء أكثر مما نزل في غيرها. وكثيرا ما يطلق عليها اسم سورة النساء الكبرى تمييزاً لها عن سورة أخرى عرضت لبعض شئون النساء وهي سورة الطلاق التي كثيرا ما يطلق عليها اسم سورة النساء الصغرى"[1].

ثانياً: فضائل السورة:

من السبع الطوال التي من أخذها فهو حبر:

حدثنا أبو سعيد... عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال:« من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر»[2].

من السبع الطوال التي اوتيها النبي مكان التوراة:

أخبرنا أبو بكر بن فورك...عن واثلة بن الأسقع قال: قال النبي ﷺ :« أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال...»[3].

من المثاني الطوال التي أُتيها النبي مقابل ألواح موسى:

أبو سعيد النقاش في فوائد العراقيين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:« أُتي موسى الألواح وأُتيتُ المثاني »[54].

ومن الآثار التي وردت في فضل سورة النساء ما رواه قتادة عن ابن عباس أنه قال:

"ثمان آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت:

---

[1] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مُحَمَّد سيد طنطاوي، ط: 01، فجالة_ القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ج 3، ص 8.

[2] أحمد، المسند، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، حديث 24541، ج 41، ص 78.

[3] أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، فصل في فضائل السور والآيات، تخصيص خواتيم سورة البقرة، حديث 2192، ج 4، ص 71.

[4] السيوطي، جامع الأحاديث، قسم الاستدراكات، حرف الألف، حديث 44929، ج 41، ص 287.

[5] موسوعة فضائل سور وآيات القرآن، مُحَمَّد بن رزق بن طهروني(مرجع سابق)، ج 1، ص 225.226.

أولهن: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ.
والثانية: وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ. وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً.
والثالثة: يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً.
والرابعة: إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها.
والخامسة: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ.
والسادسة: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ.
والسابعة: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ.
والثامنة: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً"[21].

ثالثاً: مدنية السورة:

"وسورة النساء من السور المدنية. وكان نزولها بعد سورة الممتحنة ويؤيد أنها مدنية ما رواه البخاري عن عائشة- رضى الله عنها- قالت: «وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده »[3].

ومن المتفق عليه عند العلماء أن دخوله ﷺ على عائشة كان بعد الهجرة.

وروى العوفي عن ابن عباس أنه قال: نزلت سورة النساء بالمدينة. وكذا روى ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت.

أخرج الإمام البخاري بسنده عن البراء بن عازب ﷺ قال:« آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ** ﴾»[4].

---

[1] أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، معالجة كل ذنب بالتوبة، حديث 6744، ج 9، ص 346.

[2] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مُحَمَّد سيد طنطاوي(مرجع سابق)، ج 3، ص 9.

[3] البخاري، الصحيح، كتاب تأليف القرآن، باب تأليف القرآن، حديث 4993، ج 6، ص 185.

[4] البخاري، الصحيح، كتاب تفسير القرآن، سورة النساء، باب يستفتونك قل الله يفتيكم، حديث 4605، ج 6، ص 50.

وجه الدلالة: إن وصف الآخرية بهذه الآية، وهي من آيات سورة النساء يقتضي أن تكون الآية مدنية النزول، كما أنه لا يوجد في القرآن الكريم آية قيل بأنها من آخر ما نزل من القرآن وهي سورة مكية، فكل الآيات التي ذكرت لها الآخرية تندرج ضمن سور مدنية"[1].

رابعاً: عدد آياتها:

"لا نظير لها في عددها، وكلمها ثلاثة ألاف وتسعُ مائة وخمس وأربعون كلمة، وحروفها ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفاً، وهي مئة وسبعون وخمس آيات في المدنيين والمكي والبصري، وست في الكوفي، وسبع في الشامي.

اختلافها آيتان: ﴿ **وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ** ﴾ [النساء: 44]، عدها الكوفي والشامي ولم يعدها الباقون، ﴿**فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [النساء: 173]، عدها الشامي ولم يعدها الباقون"[2].

خامساً: محور السورة:

سورة النساء تعتبر أطول سورة مدنية بعد سورة البقرة. وإنك لتقرؤها بتدبر وتفهم فتراها قد اشتملت على مقاصد عالية، وآداب سامية. وتوجيهات حكيمة، وتشريعات جليلة.

تراها تنظم المجتمع الإسلامي تنظيماً دقيقا قويما، يؤدى اتباعه إلى سعادة المجتمع واستقراره داخليا وخارجيا.

فأنت تراها في مطلعها تحض الناس على تقوى الله والخشية منه، وتبين الارتباط الإنساني الجامع الذي تلتقي عنده البشرية جميعا.

ثم تراها بعد ذلك في الربع الثاني منها تتحدث عن التوزيع المالي للأسرة عند ما يموت واحد منها، وتضع لهذا التوزيع أحكم الأسس وأعدلها وأضبطها وتبين أن هذا التوزيع حد من حدود الله التي يجب التزامها وعدم مخالفتها.

---

[1] المكي والمدني في القرآن الكريم، عبد الرزاق حسين أحمد(مرجع سابق)، ص 404.

[2] البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني الأندلسي، (مرجع سابق)،ص 146.

ثم تراها في الربع الثالث منها تتحدث عن المحصنات من النساء وعن حقوقهن، وبينت للناس أن الله- تعالى- ما شرع هذه الأحكام القويمة إلا لمصلحتهم ومنفعتهم.

انتقلت في الربع الرابع منها إلى بيان العلاقة بين العبد وخالقه، وأنها يجب أن تقوم على إخلاص العبادة له- سبحانه- كما يجب على المسلم أن يجعل علاقته مع والديه ومع أقاربه ومع اليتامى والمساكين. وغيرهم، قائمة على الإحسان وعلى التعاطف والتراحم.

ثم بينت السورة الكريمة بعد ذلك في الربع الخامس منها: الأساس الذي يقوم عليه الحكم في الإسلام، فذكرت أن العدل والأمانة هما الدعامتان الراسختان اللتان يقوم عليهما الحكم في الإسلام. ووجهت إلى المؤمنين نداء أمرتهم فيه بطاعة الله وطاعة رسوله وأولى الأمر منهم، كما أمرتهم بأن يردوا كل تنازع يحصل بينهم إلى ما يقضى به كتاب الله وسنة رسوله، لأن التحاكم إلى غيرهما لا يليق بمؤمن.

فأنت تراها في الربع السادس منها تأمر المؤمنين بالقتال في سبيل الله، وتبشر هؤلاء المقاتلين بأنهم لن يصيبهم إلا إحدى الحسنيين، وَمَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً.

ثم واصلت السورة في الربع السابع منها حديثها عن المنافقين، فذكرت ما ينبغي أن يعاملوا به، وكشفت عن طبائعهم الذميمة، وأخلاقهم القبيحة، ونهت المؤمنين عن اتخاذهم أولياء أو نصراء، وأمرتهم أن يضيقوا عليهم ويقتلوهم إذا ما استمروا في نفاقهم وشقاقهم وارتكاسهم في الفتنة.

ثم بشرت السورة الكريمة في مطلع الربع الثامن منها الذين يهاجرون في سبيل الله، بالخير الوفير والأجر الجزيل.

ثم بينت السورة الكريمة في مطلع الربع التاسع منها أن الاستخفاء بالأقوال والأفعال عن الرسول ﷺ أكثره لا خير فيه[1].

[1] ينظر: التفسير الوسيط لقرآن الكريم، مُحَمَّد سيد طنطاوي(مرجع سابق)، ج 3، ص 9- 15.

ثم وجهت السورة الكريمة في الربع العاشر منها نداء إلى المؤمنين أمرتهم فيه بأن يلتزموا الحق في كل شئونهم، وأن يجهروا به ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، لأن العدالة المطلقة التي أتى بها الإسلام لا تعرف التفرقة بين الناس.

ثم حكت السورة الكريمة في الربع الحادي عشر منها ما أدب الله به عباده، وما أرشدهم إليه من خلق كريم وهو منع الجهر بالسوء من القول، ولكنه- سبحانه- رخص للمظلوم أن يتكلم في شأن ظالمه بالكلام الحق. لأنه- تعالى- لا تخفى عليه خافية.

أما في الربع الثاني عشر والأخير منها فقد تحدثت السورة الكريمة عن وحدة الرسالة الإلهية. ثم وجهت في أواخرها نداء عاما إلى الناس تأمرهم فيه بالإيمان بما جاءهم به النبي صلى الله عليه وسلم. كما وجهت نداء آخر إلى أهل الكتاب تنهاهم فيه عن السير في طريق الضلالة.

ومن هذا العرض نرى أن سورة النساء- كما يقول بعض العلماء-: قد عالجت أحوال المسلمين فيما يتعلق بتنظيم شئونهم الداخلية، عن طريق إصلاح الأسرة وإصلاح المال في ظل تشريع قوى عادل، مبنى على مراعاة مقتضيات الطبيعة الإنسانية، مجرد من تحكيم الأهواء والشهوات.

وذلك إنما يكون إذا كان صادرا عن حكيم خبير بنزعات النفوس واتجاهاتها وميولها.

كما عالجت أحوالهم فيما يختص بحفظ كيانهم الخارجي، عن طريق التشريعات والتوجيهات التي اشتملت عليها السورة الكريمة، والتي من شأنها أن تحفظ للأمة كيانها وشخصيتها متى تمسكت بها، وأن تجعلها قادرة على دفع الشر الذي يطرأ عليها من أعدائها[1].

[1] ينظر: التفسير الوسيط لقرآن الكريم، مُحَمَّد سيد طنطاوي(مرجع سابق)، ج 3، ص 15- 17.

سادساً: المناسبات في السورة:

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة آل عمران التي قبلها: أن سورة آل عمران اختتمت بالأمر بالتقوى في قوله- تعالى-: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: 200]، وسورة النساء افتتحت بالأمر بالتقوى. قال- تعالى-: ﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ**﴾ [النساء: 01].

قال الآلوسى:" وذلك من آكد وجوه المناسبات في ترتيب السور. وهو نوع من أنواع البديع يسمى في الشعر: تشابه الأطراف. وقوم يسمونه بالتسبيغ[...]

ومنها أن في سورة آل عمران تفصيلا لغزوة أحد. وفي سورة النساء حديث موجز عنها في قوله- تعالى-: ﴿ **فَما لَكُمْ فِي الْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُوا**﴾ [النساء: 88]. وكما في قوله- تعالى-:﴿ **وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ**﴾ [النساء: 104].

ومنها: أن في كلتا السورتين محاجة لأهل الكتاب، وبيانا لأحوال المنافقين، وتفصيلا لأحكام القتال. ومن أمعن نظره- كما يقول الآلوسى- وجد كثيرا مما ذكر في هذه السورة مفصلا لما ذكر فيما قبلها. فحينئذ يظهر مزيد الارتباط وغاية الاحتباك[1].

[1] ينظر: التفسير الوسيط لقرآن الكريم، مُحَمَّد سيد طنطاوي(مرجع سابق)، ج 3، ص 8.

الفرع الثاني: تفسير آيات الوسطية المرفوضة

يتضمن الفرع الثاني تفسير آيات الوسطية في سورة النساء؛ وهي أربع آيات بيانها كالآتي:

الآية الأولى:

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء: 91].

شرح المفردات:

"**﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ ﴾**، بإظهار الإيمان عندكم**﴿وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ ﴾** بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم أسد وغطفان **﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ﴾**، دعوا إلى الشرك **﴿أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ ﴾**، وقعوا أشد وقوع فَإِن لَّمۡ **﴿يَعۡتَزِلُوكُمۡ﴾** ، بترك قتالكم **﴿وَ﴾** لم **﴿يُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾**، لم**﴿ يَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾**، عنكم**﴿فَخُذُوهُمۡ﴾** بالأسر**﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ﴾**، وجدتموهم **﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾** برهاناً بيناً ظاهراً على قتلهم وسبيهم لغدرهم"[1].

التفسير التحليلي للآية:

وإليك بعض هذه التفسيرات:

"وَهَؤُلَاءِ فَرِيقٌ[...] مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ لِيَأْمَنُوا بِهِ عِنْدَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالسِّبَاءِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَهُمْ كُفَّارٌ، يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَوْمُهُمْ، إِذَا لَقُوهُمْ كَانُوا مَعَهُمْ وَعَبَدُوا مَا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِيَأْمَنُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ: **﴿كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾** يَعْنِي: "كُلَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ ارْتَدُّوا فَصَارُوا مُشْرِكِينَ مِثْلَهُمْ[...]، لِيَأْمَنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ وَنِسَائِهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ:**﴿كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾** يَعْنِي: كُلَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ ارْتَدُّوا، فَصَارُوا مُشْرِكِينَ مِثْلَهُمْ لِيَأْمَنُوا عِنْدَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ"[2].

[1] تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي-جلال الدين السيوطي، ط:01، القاهرة، دار الحديث، د ت ن، ص 177.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري(مرجع سابق)، ج 7، ص 300.

﴿**ستجدون آخرين**﴾ الآية هؤلاء قومٌ كانوا يظهرون الموافقة لقومهم من الكفَّار ويظهرون الإسلام للنبي ﷺ والمؤمنين يريدون بذلك الأمن في الفريقين.

قال ابن عباس: هم بنو عبد الدار. وقال الكلبي: هم أسد وغطفان.

وقال الحسن: هم قوم من المنافقين كانوا يظهرون الإسلام ليأمنوا المسلمين، ويظهرون لقومهم الموافقة لهم ليأمنوهم.

فأطلع الله نبيَّه عليه السَّلام على نفاقهم وهو قوله: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ**﴾ أطلع الله نبيه على نفاقهم، ﴿**كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا**﴾ [النساء: 91] كلما ردوا إلى الشرك دخلوا فيه ﴿**فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ**﴾ [النساء: 91]، لم يتركوا قتالكم، ولم ينقادوا لكم بعهد أو صلح، ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم، فخذوهم: بالأسر، ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾ [النساء: 91] وجدتموهم، ﴿**وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا**﴾ [النساء: 91] حجة بينة في قتلهم ولأنه ليس لهم عهد ولا ميثاق[1].

وهَؤُلَاءِ المنَافِقُونَ يُظْهِرُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَصْحَابِهِ الْإِسْلَامَ؛ لِيَأْمَنُوا بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ وَيُصَانِعُونَ الْكَفَّارَ فِي الْبَاطِنِ، فَيَعْبُدُونَ مَعَهُمْ مَا يَعْبُدُونَ، لِيَأْمَنُوا بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ فِي الْبَاطِنِ مَعَ أُولَئِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾ [الْبَقَرَةِ: 14] وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿**كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا**﴾ أَيْ: انْهَمَكُوا فِيهَا.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: الْفِتْنَةُ هَاهُنَا: الشِّرْكُ. وَحَكَى ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، كَانُوا يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُونَ رِيَاءً، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى قُرَيْشٍ فَيَرْتَكِسُونَ فِي الْأَوْثَانِ، يبْتَغُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَأْمَنُوا هَاهُنَا وَهَاهُنَا ، فَأَمَرَ بِقِتَالِهِمْ إِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوا

[1] ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي الواحدي، تح: صفوان عدنان داوودي، ط: 01، بيروت_ لبنان، دار القلم- الدار الشامية، 1415هـ، ص 28./ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي الواحدي، ط: 01، بيروت_ لبنان، دار الكتب العلمية، 1415هـ_ 1994م، ج 2، ص 93.

وَيُصْلِحُوا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ**﴾ أَيْ: عَنِ الْقِتَالِ ﴿**فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾ أَيْ: أَيْنَ لَقِيتُمُوهُمْ ﴿**وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا**﴾ أَيْ: بيّنا وَاضِحًا[1].

يقول الله سبحانه وتعالى: أن هناك فريقاً من الذين لم يهتدوا بالإسلام، ولم يتصدوا إلى مجادلة أهله بحد الحسام، فكانوا مذبذبين بين المومنين والكافرين، لا يهمهم إلا سلامة أرواحهم وأموالهم، فيظهرون لكلا الفريقين أنهم منهم أو معهم، فيسلمون رياءً، ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان، يبتغون بذلك أن يأمنوا هاهنا وهاهنا، فأمر الله عزو وجل بقتالهم إن لم يعتزلوا ويصلحوا.

فهم يلعبون على الحبلين كما وصفهم الجزائري صاحب التفاسير؛ إذ كانوا معكم عبدوا الله وحده، وإذ كانوا مع قومهم عبدوا الأوثان، فاستحقوا بذلك القتل جزاءً لهم بما كانوا يصنعون[2].

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير، سامي بن مُحَّد السلامة، ط: 02، د م ن، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ_ 1999م، ج 2، ص 373.

[2] ينظر: تفسير القرآن الحكيم_ تفسير المنار، مُحَّد رشيد رضا، د ط، د م ن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج 5، ص 267_ 268./ تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ط: 01، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده،1365هـ_ 1946م، ج 5، ص 118./ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر أبو بكر الجزائري(مرجع سابق)، ج 1، ص 522.

الآية الثانية:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141].

شرح المفردات:

"يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ: ينتظرون متى يحصل لكم انهزام أو إنكسار: فيعلنون عن كفرهم.

نَصِيبٌ: أي: من النصر وعبر عنه بالنصيب القليل لأن انتصارهم على المؤمنين نادر

نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ: أي: نستول عليكم ونمنعكم من المؤمنين إن قاتلوكم.

سَبِيلاً: أي: طريقاً إلى إذلالهم واستعبادهم والتسلط عليهم"[1].

تفسير الآية التحليلي:

الْمَعْنَى الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ بِكُمْ مَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْأَحْوَالِ مَنْ ظَفَرٍ لَكُمْ أَوْ بِكُمْ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ مُظَاهِرِينَ. وَالْمَعْنَى: فَأَسْهِمُوا لَنَا بِحُكْمِ أَنَّنَا مُؤْمِنُونَ، وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ أَيِ الْيَهُودِ نَصِيبٌ، أَيْ: نَيْلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ، أَيْ: أَلَمْ نَغْلِبْكُمْ وَنَتَمَكَّنْ مِنْ قَتْلِكُمْ وَأَسْرِكُمْ، وَأَبْقَيْنَا عَلَيْكُمْ، وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ ثَبَّطْنَاهُمْ عَنْكُمْ، فَأَسْهِمُوا لَنَا بِحُكْمِ أَنَّنَا نُوَالِيكُمْ فَلَا نُؤْذِيكُمْ، وَلَا نَتْرُكُ أَحَدًا يُؤْذِيكُمْ. قِيلَ: الْمَعْنَى أَنَّ الْكُفَّارَ وَالْيَهُودَ هَمُّوا بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ فَحَذَّرَهُمُ الْمُنَافِقُونَ عَنْ ذَلِكَ، وَبَالَغُوا فِي تَنْفِيرِهِمْ سَيَضْعُفُ أَمْرُ الرَّسُولِ، فَمَنُّوا عَلَيْهِمْ عِنْدَ حُصُولِ نَصِيبٍ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَدْ أَرْشَدُوهُمْ لِهَذِهِ الْمَصَالِحِ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ اتِّبَاعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالدُّخُولِ فِي دِينِهِمْ فَأَسْهِمُوا لَنَا. وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَلَمْ نُخْبِرْكُمْ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَنُطْلِعْكُمْ عَلَى سِرِّهِمْ؟[...] وَسَمَّى تَعَالَى ظَفَرَ الْمُؤْمِنِينَ فَتْحًا عَظِيمًا لَهُمْ، وَجَعَلَ مَنَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ، وَظَفَرَ الْكَافِرِينَ نَصِيبًا، وَلَمْ يَنْسُبْهُ إِلَيْهِ تَعَالَى تَحْقِيرًا لَهُمْ وَتَخْسِيسًا لِمَا نَالُوهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ ظَفَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ عَظِيمٌ تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ[...] وَأَمَّا ظَفَرُ الْكَافِرِينَ فَهُوَ حَظٌّ دُنْيَوِيٌّ يُصِيبُونَهُ[2].

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر أبو بكر الجزائري(مرجع سابق)، ج 1، ص 557- 558.

[2] ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي(مرجع سابق)، ج 4، ص 104.

وَقَوْلُهُ تعالى: يَتَرَبَّصُونَ أَيْ يَنْتَظِرُونَ مَا يَحْدُثُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ أَيْ ظُهُورٌ عَلَى الْيَهُودِ قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ، أَيْ فَأَعْطُونَا قِسْمًا مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ يَعْنِي الْيَهُودَ نَصِيبٌ، أَيْ ظَفْرٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ، يُقَالُ: اسْتَحْوَذَ عَلَى فُلَانٍ، أَيْ غَلَبَ عَلَيْهِ ويقول الرازي: فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَجْهَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى أَلَمْ نَغْلِبْكُمْ وَنَتَمَكَّنْ مِنْ قَتْلِكُمْ وَأَسْرِكُمْ ثُمَّ لَمْ نَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ ثَبَّطْنَاهُمْ عَنْكُمْ وَخَيَّلْنَا لَهُمْ مَا ضَعُفَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَتَوَانَيْنَا فِي مُظَاهَرَتِهِمْ عَلَيْكُمْ فَهَاتُوا لَنَا نَصِيبًا مِمَّا أَصَبْتُمْ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ وَالْيَهُودَ كَانُوا قَدْ هَمُّوا بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ حَذَّرُوهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَبَالَغُوا فِي تَنْفِيرِهِمْ عَنْهُ وَأَطْمَعُوهُمْ أَنَّهُ سَيَضْعُفُ أَمْرُ مُحَمَّدٍ وَسَيَقْوَى أَمْرُكُمْ، فَإِذَا اتَّفَقَتْ لَهُمْ صَوْلَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَالَ الْمُنَافِقُونَ: أَلَسْنَا غَلَبْنَاكُمْ عَلَى رَأْيِكُمْ فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَمَنَعْنَاكُمْ مِنْهُ وَقُلْنَا لَكُمْ بِأَنَّهُ سَيَضْعُفُ أَمْرُهُ وَيَقْوَى أَمْرُكُمْ، فَلَمَّا شَاهَدْتُمْ صِدْقَ قَوْلِنَا فَادْفَعُوا إِلَيْنَا نَصِيبًا مِمَّا وَجَدْتُمْ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَمُنُّونَ عَلَى الْكَافِرِينَ بِأَنَّا نَحْنُ الَّذِينَ أَرْشَدْنَاكُمْ إِلَى هَذِهِ الْمَصَالِحِ، فَادْفَعُوا إِلَيْنَا نَصِيبًا مِمَّا وَجَدْتُمْ[1].

"أخبر- سُبْحَانَهُ- عن المنافقين فَقَالَ- عَزَّ وجل-: الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ الدوائر فَإِنْ كانَ لَكُمْ معشر المؤمنين فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ يعني النصر عَلَى العدو يوم بدر قالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ عَلَى عدوكم فأعطونا من الغنيمة فلستم أحق بها، فذلك قوله- سُبْحَانَهُ- فِي العنكبوت وَلَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ على عدوكم وَإِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ يعني دولة عَلَى الْمُؤْمِنِين يوم أحد قالُوا أي المنافقون للكفار أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ يعني ألم نحط بكم من ورائكم وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ونجادل الْمُؤْمِنِين عنكم فنحبسهم عنكم ونخبرهم أَنَّا معكم، قَالُوا ذَلِكَ جبنا وفرقا منهم"[2].

[1] ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي(مرجع سابق)، ج 11، ص 248 _247.

[2] تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تح: عبدالله محمود شحاته، ط: 01، بيروت، دار إحياء التراث، 1423هـ، ج 1، ص 416.

ذكر سبحانه وتعالى سمة من أبرز سمات المنافقين؛ وهي أنهم كانوا يلقون المسلمين بوجه ويلقون الكفار بوجه آخر، أي أنهم يحاولون أن يمسكوا العصا من وسطها حتى يأكلوا من كل مائدة، ومن صفاتهم أيضاً أنهم ينتظرون ما يحدث لكم من خيرٍ أو شرٍ، أو من نصرٍ أو هزيمة، فإن كان لكم نصرٌ أو ظفر على أعدائكم قالوا متقربين إليكم ألم نكن معكم في الجهاد وغيره، فأعطونا نصيباً من الخير الذي أصبتموه، وإن كان للكافرين حظٌ من النصر عليكم، قالوا لهم ألم نتمكن من قتلكم وأسركم لكنا لم نفعل ذلك، بل منعنا المومنين من النصر عليكم بسبب تخذيلنا لهم واخباركم شؤونهم، ومادام الأمر كذلك فاجعلوا لنا قسماً من نصيبكم.

فالآية الكريمة تصور تصويراً بليغاً ما كان عليه المنافقون من تلون وتقلب وهرولةٍ وراء شهوات الدنيا في أي مكان كانت.

فيحذر الله سبحانه وتعالى من هؤلاء المنافقين المتلونين الذين يتحينون الفرص للانقلاب عليكم، فيحاولون التوسط بين الكفر والإيمان-وهو من المستحيل بمكان-؛ فيمسكون العصا من وسطها، فأي جانب غلب يكونون معه، وتوعدهم الله بالعقاب يوم القيامة[1].

[1] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مُحَمَّد سيد طنطاوي(مرجع سابق)، ج 3، ص 354./ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر أبو بكر الجزائري(مرجع سابق)، ج 1، ص 559.

الآية الثالثة:

﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [النساء: 143].

شرح المفردات:

"مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ أَيْ: مُتَرَدِّدِينَ مُتَحَيِّرِينَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ"[1].

التفسير التحليلي للآية:

وإليك بعض التفسيرات:

وعنى سبحانه وتعالى بذلك: أَنَّ الْمُنَافِقِينَ مُتَحَيِّرُونَ فِي دِينِهِمْ ، لَا يَرْجِعُونَ إِلَى اعْتِقَادِ شَيْءٍ عَلَى صِحَّةٍ فَهُمْ لَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَلَا مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى جَهَالَةٍ ، وَلَكِنَّهُمْ حَيَارَى بَيْنَ ذَلِكَ ، فَمَثَلُهُمُ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الَّذِي حَدَّثَنَا بِهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ: ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، قَالَ: ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً ، لَا تَدْرِي أَيَّتَهُمَا تَتْبَعُ»[2].

"**﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَلا إِلى هؤُلاءِ﴾** أي مضطربين مائلين تارة إلى المؤمنين، وتارة إلى الكافرين، لا يخلصون إلى أحد الفريقين، لأنهم طلاب منافع، ولا يدرون لمن تكون العاقبة، فمتى ظهرت الغلبة لأحدهما ادعوا أنهم منه كما بين الله ذلك فيما سلف.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ أي ومن قضت سنته أن يكون ضالا عن الحق موغلا في الباطل، بما قدم من عمل، وتخلق به من خلق، فلن تجد له سبيلا للهداية باجتهادك والمبالغة في إقناعه بالحجة والدليل، فإن سنة الله لا تتبدل ولا تتحول"[3].

---

[1] معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو مُحَمَّد الحسين البغوي، تح: مُحَمَّد عبد الله النمر_ سليمان مسلم لحرش، ط: 04، د م ن، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ_ 1997م، ج 2، ص 302.

[2] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري(مرجع سابق)، ج 7، ص 615.

[3] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي(مرجع سابق)، ج 5، ص 188.

"﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ**﴾ أَيْ: مُتَرَدِّدِينَ مُتَحَيِّرِينَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، ﴿**لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ**﴾ أَيْ: لَيْسُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَجِبُ لَهُمْ مَا يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسُوا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُؤْخَذُ مِنْهُمْ مَا يُؤْخَذُ مِنَ الْكُفَّارِ، ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾ أَيْ: طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى"[1].

"الَّذِينَ صفة للمنافقين، ويَتَرَبَّصُونَ معناه: ينتظرون دور الدوائر عليكم، فإن كان فتح للمؤمنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الإيمان، وإن كان للكافرين نيل من المؤمنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يبطنونه من موالاة الكفار، وهذا حال المنافقين"[2].

"وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً، وبالشرك استهزاء وخداعا"[3].

فالآية تدل على أن المنافقين سلكوا مسلك توسط بين الإيمان والكفر، فلا هم من المومنين ظاهراً وباطناً، ولا من الكافرين ظاهراً وباطناً، فيميلون مع الطرف الأقوى؛ فإن رأوا الكفار أقوياء مالوا إليهم وتعاطفوا معهم وتواطئوا معهم ضد المومنين، وإن رأوا المومنين أقوياء تظاهروا بالانضمام إليهم للمنفعة المادية[4].

---

[1] معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو مُحَمَّد الحسين البغوي(مرجع سابق)، ج 2، ص 302.

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، ط: 01، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ، ج 2، ص 126.

[3] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري(مرجع سابق)، ج 1، ص54.

[4] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: 01، د م ن، مؤسسة الرسالة، 1420هـ- 2000م، ص 211./ التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: 01، دمشق، دار الفكر، 1422هـ، ج 1، ص 400.

الآية الرابعة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: 150].

شرح المفردات:

"وَلَمْ يُفَرِّقُوا: كما فرق اليهود فأمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكما فرق النصارى آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم لذلك كفار"[1].

التفسير التحليلي للآية:

ومن تفسيرات هذه الآية ما يلي:

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [النساء: 150] مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿**وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [النساء: 150] بِأَنْ يُكَذِّبُوا رُسُلَ اللَّهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَى خَلْقِهِ بِوَحْيِهِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمُ افْتَرَوْا عَلَى رَبِّهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى إِرَادَتِهِمُ التَّفْرِيقَ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، بِنِحْلَتِهِمْ إِيَّاهُمُ الْكَذِبَ وَالْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ، وَادِّعَائِهِمْ عَلَيْهِمُ الْأَبَاطِيلَ. ﴿**وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ**﴾ [النساء: 150] يَعْنِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: نُصَدِّقُ بِهَذَا وَنُكَذِّبُ بِهَذَا، كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ عِيسَى وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ وَتَصْدِيقِهِمْ بِمُوسَى وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ بِزَعْمِهِمْ، وَكَمَا فَعَلَتِ النَّصَارَى مِنْ تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصْدِيقِهِمْ بِعِيسَى وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ بِزَعْمِهِمْ. ﴿**وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾ [النساء: 150] يَقُولُ:" وَيُرِيدُ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، الزَّاعِمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ ويَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ أَضْعَافِ قَوْلِهِمْ: نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ، سَبِيلًا: يَعْنِي طَرِيقًا إِلَى الضَّلَالَةِ الَّتِي أَحْدَثُوهَا وَالْبِدْعَةِ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا [...] فَاتَّخَذُوا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ، وَهُمَا بِدْعَتَانِ لَيْسَتَا مِنَ اللَّهِ، وَتَرَكُوا الْإِسْلَامَ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ[2].

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر أبو بكر الجزائري(مرجع سابق)، ج 1، ص 566.

[2] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري(مرجع سابق)،ج 7، ص 635_634.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَابْنُ جُرَيْجٍ:

نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، آمَنَتِ الْيَهُودُ بِمُوسَى وَالتَّوْرَاةِ وَكَفَرَتْ بِعِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَآمَنَتِ النَّصَارَى بِعِيسَى والإنجيل وكفرت بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرْآنِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ خَاصَّةً، آمَنُوا بِمُوسَى وعزيرا وَالتَّوْرَاةِ وَكَفَرُوا بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ وَمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ[...] وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ أَيْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَا نُؤْمِنُ، بِفُلَانٍ، وَفُلَانٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ يَعْنِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. وَقِيلَ: هُوَ تَصْدِيقُ اليهود بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَكِنْ لَيْسَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَنَحْوُ هَذَا مِنْ تَفَرُّقَاتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ تَعَنُّتًا وَرَوَغَانًا. وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا أَيْ طَرِيقًا وَسَطًا بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا. أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا أَكَّدَ بِقَوْلِهِ: هُمْ، لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ ذلك الإيمان ينفعهم[1].

"هنا قسمان قد وضحا لكل أحد: مؤمنٌ بالله وبرسله كلِّهم وكتبه، وكافرٌ بذلك كله.

وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه يؤمن ببعض الرسل دون بعض، وأن هذا سبيل ينجيه من عذاب الله، إنْ هذا إلا مجرد أماني. فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله وبين رسله.

فإن من تولى الله حقيقة تولى جميع رسله لأن ذلك من تمام توليه، ومن عادى أحدا من رسله فقد عادى الله وعادى جميع رسله، كما قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ**﴾ الآيات.

وكذلك مَنْ كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا**﴾ وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر.

ووجه كونهم كافرين – حتى بما زعموا الإيمان به– أن كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به موجود هو أو مثله أو ما فوقه للنبي الذي كفروا به، وكل شبهة يزعمون أنهم يقدحون بها في النبي الذي كفروا به موجود مثلها أو أعظم منها فيمن آمنوا به"[2].

---

[1] *ينظر:* البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي(مرجع سابق)، ج 4، ص 119.

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي(مرجع سابق)، ص 212.

"﴿**إِنَّ الذين يَكْفُرُونَ بالله وَرُسُلِهِ**﴾ الآية في اليهود والنصارى لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره، جعل كفرهم ببعض الرسل كفراً بجميع الرسل، وكفرَهُم بالرسل كفراً بالله تعالى ﴿**وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرّقُواْ بَيْنَ الله وَرُسُلِهِ**﴾ التفريقُ بين الله ورسله أن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله، وكذلك التفريق بين الرسل هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم وقد فسره تعالى بقوله بعده ﴿**وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ**﴾ أي نؤمن ببعض الرسل ونكفر ببعض قال قتادة: أولئك أعداء الله اليهود والنصارى، آمنت اليهود بالتوراة وموسى وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى وكفروا بالقرآن وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركوا الإسلام دين الله الذي بعث به رسله ﴿**وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذلك سَبِيلاً**﴾ أي طريقاً وسطاً بين الكفر والإيمان ولا واسطة بينهما"[1].

جعل الله الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وكفروا ببعض رسله، كافرين بالله ورسله جميعاً، ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلاً: أنهم اتخذوا ديناً وسطاً بين الإيمان والكفر، أي: طريقاً يُتوصلون به إلى مذهب باطلٍ فاسد؛ وهو التخير بين رسل الله فمن شاءوا الإيمان به آمنوا، ومن لم يشاءوا الإيمان به كفروا به، وبهذا كفروا كفراً لا ريب فيه.

لذلك تراهم مترددين لا يثبتون على حالٍ من الحالين، اتخذوا مرتبة متوسطة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وهم بذلك على ضلال؛ لأنه لا واسطة بين الإيمان والكفر[2].

---

[1] صفوة التفاسير، مُحَمَّد علي الصابوني(مرجع سابق)، ج 1، ص 290.

[2] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري(مرجع سابق)، ج 1، ص 583./ التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، ج 6، ص 11./ صفوة التفاسير، مُحَمَّد علي الصابوني، ج 1، ص 290.

الخلاصة:

الآيات سالفة الذكر في سورتي البقرة والنساء، تدور كلها في جانب موضوعي واحد، ألا وهو الجانب العقدي المتمثل في توسط فئة من الناس بين الإيمان والكفر، فلا هم أهل إيمانٍ بين ولا أهل كفرٍ صريح. فخلطت هذه الفئة الفاسدة بين الحق والباطل بزعمهم الوسطية في الدين؛ وما هي من الدين بمكان.

تتحدث آيات الوسطية المرفوضة عن نوعين من الناس هم: اليهود والمنافقون، وتفصيل ذلك كالآتي:

الآية الأولى من سورة البقرة، تتحدث عن المنافقين، أما الآيتين الثانية والثالثة، فتتحدثان عن اليهود.

أما في سورة النساء فالآيات الثلاث الأولى تتحدث عن المنافقين، والآية الرابعة عن اليهود.

كلتا السورتين؛ البقرة والنساء، مدنيتي النزول، مما يدل على أن المنهج الوسطي لم يظهر إلا في المدينة، أما في مكة المكرمة فكان الأمر بَيّن حِينذاك؛ إمّا إيمان أو كفر، بخلاف ما كان في العهد المدني، الذي عرف تواجد اليهود وطبعهم في الغدر والنفاق، وهو مالم يسلم منه أهل المدينة.

فبعد دخول أهل المدينة للإسلام وبقاء اليهود على ضلالهم، زرعوا جواسيس ينقلون أخبار المسلمين لهم، وكانت هذه الفئة هي المنافقين، فيبدون الإيمان إذا كانوا في جانب المسلمين، ويولون على أعقابهم كفاراً إذا لقوا إخوانهم من بني ملتهم.

وقد كان اتفاقهم لغاية في نفس الطرفين، فأما اليهود فلِيَتتبعوا أثر المسلمين وليعلموا خططهم وتحركاتهم في السلم والحرب، وأما المنافقون فلِيأمنوا كلا الطرفين، وأي كفة رجحت ينساقون إليها.

كانت العلاقة بين المنافقين واليهود في العهد النبوي وما تلاه في المدينة المنورة؛ علاقة تبادل مصالح واقتداء للأولى بالأخيرة.

يقول سبحانه وتعالى في سورة الحشر:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر: 11]

نزلت هذه الآية في جماعة من الأنصار، ولكنهم نافقوا، ويقولون لإخوانهم؛ وهذه الأخوة تحتمل وجوها:

إما الأخوة في الكفر لأن اليهود والمنافقين كانوا مشتركين في عموم الكفر بمحمد.

وإما بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة.

وأما الأخوة بسبب ما بينهما من المشاركة في عداوة النبي.

ثم أخبر تعالى عنهم أنهم قالوا لليهود: لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم ولا نطيع في خذلانكم أحداً أبداً ووعدوهم النصر، ثم إنه تعالى شهد على كونهم كاذبين في قوله: **﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾** [1].

فهذه الآية تبين اتفاق ومساندة المنافقين لليهود، ونصرتهم –اليهود– على المسلمين.

يَزعُم اليهود والمنافقون أنهم يقفون موقف توسط، وأن ذلك ينجيهم من العذاب، ويضمن لهم الفوز في الدارين؛ بإظهار الإيمان وإخفاء حقيقة شركهم، طمعاً في المنفعة المادية، من أيّ الفريقين انتصر. أو بالتفريق بين الله ورسله، أو التفريق بين الرسل؛ فمن شاؤوا الإيمان به آمنوا وتركو ما دون ذلك.

فتوعدهم الله بالعذاب جزاء مكرهم وتقلبهم، فبين الحق والباطل لا مجال للتوسط.

[1] ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي(مرجع سابق)، ج 29، ص 509.

الخاتـــمة

خاتمة:

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، حمداً طيباً مباركاً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وختام هذا البحث، حصيلة لما تناولناه آنفاً، وتوصيات نوجزها في النقاط الآتية:

_ الوسطية في القرآن الكريم، وبصفة عامة هي منهج الأمة الإسلامية، وبها تتميز عن سائر الأمم، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة: 143]. أي عدلاً وخياراً.

_ الوسطية في القرآن ليست وسطية واحدة، بل وسطيتين اثنين، وسطية مطلوبة؛ توسط بين باطلين، كالغلو والجفاء، وهي مقبولة أمر بها القرآن.

_ الوسطية المرفوضة هي توسط بين الحق والباطل، وهي المنهيُ عنها في القرآن الكريم.

_ القرآن الكريم هو كلام الله المعجز بلفظه ومعناه، المنزل على نبيه مُحَمَّد، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة و المختوم بالناس.

_ الدراسة الموضوعية هي الدراسة التفسيرية الموضوعية؛ هو أن يجمع المفسر الآيات القرآنية التي تعنى بموضوع قرآني واحدٍ، ويدرسها دراسةً موضوعيةً.

_ الآيات التي تدور حول الوسطية الباطلة، في سورتين هما: سورة البقرة، في ثلاث مواضع هي: الآية 14، الآية 76 والآية 85، وسورة النساء، في أربع مواضع وآياتها: 91، 141، 143 والآية 150.

_ ترى أصحاب الوسطية المرفوضة مترددون بين هذا وذاك، إذا غلبت فئة على أخرى، انحازوا للفئة الرابحة على حساب الأخرى، فتراهم يتلونون لا يثبتون على رأي، لهذا توعد الله لهم أشد العذاب لنفاقهم ومكرهم بالمسلمين.

_ الفرق بين كلتا الوسطيتين يتضح في:

-أن الوسطية المحمودة هي المنهج السوي في الإسلام، واتباعها هو طريق الحق والمفاز.

-أما الوسطية المذمومة، سواء أكانت في العقيدة أو منهاج الحياة كما ينادي بها المتفلسفون في الدين، فهي صفة اليهود والمنافقين أصحاب المذهب الفاسد.

– ولقائل أن يقول: لمَ تركتِ موضوع الوسطية المطلوبة الذي ذكره القرآن وتحدث عنه الكثير من الباحثين، وألفوا فيه الكتب والمقالات، وفتشت وراء الوسطية المرفوضة وهي بالأمر المندثر، و الغير معلومٍ لدي الكثيرين، فأقول:

اتقاء الشر يكون بمعرفة أين يكمن، فمن اتقى الشر وقع في الخير.

وهو قول حذيفة بن اليمان: "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي".

يقول الشاعر أبو فراس الحمداني:

عرفتُ الشر لا للشر لكن لتوقيه *** ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

التوصيات:

وختاماً أُوصي الباحثين في هذا المجال بـ:

ضرورة تكثيف الجهود والمساعي في جانب التفسير الموضوعي، وذلك أن الموضوعات القرآنية متجددة بتجدد متطلبات العصر، وللكلام فيها لابد للباحث من براهين قطعية من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

عند فراغي من البحث وجدت ثلاث مواضع في القرآن الكريم تتحدث عن الوسطية المرفوضة، ولم يتسن لي الوقت للعمل عليها فهي متروكة للبحث من بعدي، وهي في سورة العنكبوت، سورة المجادلة وسورة الحشر.

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والأثر

فهرس الشعر

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات:

السورة	الآية القرآنية	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾	14	41 -26
	﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ ﴾	75	30
	﴿كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ ﴾	75	30
	﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾	76	29
	﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾	85	32
	﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ ﴾	98	49
	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾	143	10 -7
	﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ ﴾	150	25
	﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾	238	12
	﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾	285	25

آل عمران	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾	200	39
النساء	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾	01	39
	﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾	44	36
	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾	82	أ
	﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾	88	39
	﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾	91	41 -40
	﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ﴾	104	39
	﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾	141	43
	﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾	143	46
	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾	150	48

	﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾	151	49

	﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	173	36
	﴿يَسْتَفْتُونَكَ ﴾	176	35
المائدة	﴿فَكَفَّرَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾	89	11
الأنعام	﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾	105	15
يونس	﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	37	7
الحج	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾	11	10
القمر	﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾	46	22
الحشر	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾	11	52
القيامة	﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾	17	13
	﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾	18	14
العاديات	﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾	5	11

فهرس الأحاديث والأثر

«يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وارْقَ ورتِّل ..... أ
«فإذا بيَّنَّاه لك بالقراءة فاعمل 14
«الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما 20
«إن لكل شيء سناما، وإن سنام 20
« اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل 20
«لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر 20
"كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ 21
"بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم نفر 21
«اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة 21
"نزلت بالمدينة سورة البقرة 22
" إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها 22
"آخر آية نزلت على النبي ﷺ 23
«من أخذ السبع الطوال من القرآن 34
«أُعطيت مكان التوراة السبع 34
«أُتي موسى الألواح وأُتيتُ 34
"ثماني آيات نزلت في سورة النساء خير 35
"ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا 35
« آخر سورة نزلت براءة وأول 35
«مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ 46
"كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 55

فهرس الشعر:

طرف البيت الشعري	قائله	الصفحة
وَسَّطت من حنظلةَ الأُصْطُمّا	رؤبة	09
إذا رَحَلْتُ فاجْعلُوني وَسَطا	الراجز	10
عرفـتُ الشـر لا للشـر لكـن لتوقيه	أبو فراس الحمداني	55

فهرس المصادر والمراجع:

1-مصحف حفص عن عاصم.

2- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط: 01. السعودية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في السعودية، 1407هـ . 1986م.

3- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تح: صدقي مُحَمَّد جميل، د ط، بيروت، دار الفكر، 1420هـ.

4- البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني الأندلسي، تح: غانم قدوري الحمد، ط: 01، الكويت، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، د ت ن.

5-التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، د ط، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م.

6- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: 02، دمشق، دار الفكر العاصر، 1418هـ.

7- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، ط: 01، جامعة الشارقة، مركز تفسير الدراسات القرآنية، 1431. 2010.

8- التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: 01، دمشق، دار الفكر، 1422هـ.

9-التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مُحَمَّد سيد طنطاوي، ط: 01، فجالة_ القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.

10- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل الجوهري، أحمد عبد الغفور عطار، ط: 04، بيروت، دار العلم للملايين، 1407هـ . 1987م.

11- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري، ط: 03، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ.

12- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، ط: 01، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ.

13- المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، تح: مُحَمَّد حسين آل ياسين، ط: 01، بيروت، عالم الكتب، 1414هـ ـ 1994م.

14- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مُحَمَّد حسن حسن جبل، ط: 01، القاهرة، مكتبة الآداب، 2010م.

15- المكي والمدني في القرآن الكريم، عبد الرزاق حسين أحمد، ط: 01، القاهرة- الجيزة، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، 1420هـ- 1999م.

16- المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليلي، عرفة بن طنطاوي، د ط، د م ن، مركز تأصيل علوم التنزيل، 1442هـ.

17- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تح: مهدي المخزومي. ابراهيم السامرائي، د ط، د م ن، دار ومكتبة الهلال.

18- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي الواحدي، تح: صفوان عدنان داوودي، ط: 01، بيروت_ لبنان، دار القلم- الدار الشامية، 1415هـ.

19- الوسطية في الإسلام ـمفهومها وضوابطها وتطبيقاتهاـ رسالة لنيل درجة الماجستير، فريد مُحَمَّد هادي عبد القادر، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية.

20- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي الواحدي، ط: 01، بيروت_ لبنان، دار الكتب العلمية، 1415هـ_ 1994م.

21- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر أبو بكر الجزائري، ط: 05، المدينة المنورة السعودية، مكتبة العلوم والحكم، 1424هـ .2003م.

22- تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي-جلال الدين السيوطي، ط:01، القاهرة، دار الحديث، د ت ن.
23- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر بن مُحَمَّد جرير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط:01، د م ن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، د ت ن.
24- تفسير القرآن الحكيم_ تفسير المنار، مُحَمَّد رشيد رضا، د ط، د م ن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
25- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير، سامي بن مُحَمَّد السلامة، ط: 02، د م ن، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ_ 1999م.
26- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ط: 01، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده،1365هـ_ 1946م.
27- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، عبد الله محمود شحاته، ط: 01، بيروت، دار إحياء التراث، 1423هـ.
28- تهذيب اللغة، مُحَمَّد بن أحمد الأزهري الهروي، تح: مُحَمَّد عوض مرعب، ط: 01، بيروت، دار احياء التراث العربي،2001م.
29- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: 01، د م ن، مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م.
30- جمهرة اللغة ، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بلعبكي، ط: 01، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م.
31- صفوة التفاسير، مُحَمَّد علي الصابوني، ط: 01، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ . 1997م.
32- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن النيسابوري، تح: زكريا عميرات، ط: 01، بيروت، دار الكتب العلمية، 1416م.

33- كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، يوسف القرضاوي، ط:03، القاهر مصر، دار الشروق، 2011م.

34- لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي، ط: 03، بيروت، دار صادر، 1414هـ.

35- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ط: 01، السعودية، دار التدمرية. مكتبة يوسف البدوي، 1430هـ- 2009م،

36- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو مُحَمَّد الحسين البغوي، تح: مُحَمَّد عبد الله النمر_ سليمان مسلم لحرش، ط: 04، د م ن، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ_ 1997م.

37- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، عبد الجليل عبده شلبي، ط: 01، بيروت، عالم الكتب، 1408هـ _1988.

38- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، د ط، د م ن، دار الفكر، 1399هـ .1979م.

39- مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، أبو عبدالله مُحَمَّد فخر الدين الرازي، ط: 03، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

40- منهج الدراسة الموضوعية لآيات الموضوع القرآني (نقد وتأصيل)، رسالة لنيل درجة الماجستير، أسماء عبدالله عطاالله، كلية الشريعة، جامعة دمشق، 2012م.

41- موسوعة فضائل سور وآيات القرآن، مُحَمَّد بن رزق بن طرهوني، ط: 01، السعودية، دار ابن القيم، 1409.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ-
مبحث تمهيدي	07
المبحث الأول: مصطلحات البحث-تعريف وبيان-	
المطلب الأول: مفهوم الوسطية	09
الفرع الأول: تعريف الوسطية لغة	09
الفرع الثاني: تعريف الوسطية اصطلاحاً	11
المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم	13
المطلب الثالث: مفهوم الدراسة الموضوعية	15
الفرع الأول: تعريف الدراسة	15
الفرع الثاني: تعريف الموضوعية	16
الفرع الثالث: تعريف الدراسة الموضوعية	17
خلاصة المبحث	18
المبحث الثاني: آيات الوسطية المرفوضة في القرآن الكريم	
المطلب الأول: آيات سورة البقرة	20
الفرع الأول: بين يدي السورة	20
الفرع الثاني: تفسير آيات الوسطية المرفوضة	26
- الآية الأولى	26

- الآية الثانية	29
- الآية الثالثة	32

المطلب الثاني: آيات سورة النساء	34
الفرع الأول: بين يدي السورة	34
الفرع الثاني: تفسير آيات الوسطية المرفوضة	40
- الآية الأولى	40
- الآية الثانية	43
- الآية الثالثة	46
- الآية الرابعة	48
الخلاصة	51
الخاتمة	54
الفهارس	
فهرس الآيات	57
فهرس الأحاديث والسور	61
فهرس الشعر	62
فهرس المصادر والمراجع	63
فهرس الموضوعات	67